إله المستحيل

من الأمل إلى الرجاء

هنري بولاد

الحياة الروحية

٢١١٨٢/ تصنيف
١٥٩٤
١٩٩٦/٩ س

coptic-books.blogspot.com

طُبع هذا الكتاب بمساهمة عائلة جرجي نعمة الله عقّاد

coptic-books.blogspot.com

هنري بولاد

الحياة الروحية

إله المستحيل

من الأمل إلى الرجاء

إعداد

مارسيل فؤاد

الطبعة الثالثة

دار المشرق

بيروت

coptic-books.blogspot.com

طُبع هذا الكتاب بمساهمة عائلة جرجي نعمة الله عقّاد

coptic-books.blogspot.com

هنري بولاد

الحياة الروحية

إله المستحيل

من الأمل إلى الرجاء

إعداد

مارسيل فؤاد

الطبعة الثالثة

دار المشرق

بيروت

coptic-books.blogspot.com

لا مانع من طبعه

بولس باسيم
النائب الرسوليّ للّاتين
بيروت، ٢٤/٤/٩٢

جميع الحقوق محفوظة، طبعة ثالثة ١٩٩٦
دار المشرق ش م م - ص.ب. ٩٤٦، بيروت

ISBN 2-7214-4799-8

توزيع: **المكتبة الشرقيّة**
ص.ب. ١٩٨٦، بيروت - لبنان

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوَّل

الأمل والرجاء في الطبيعة

coptic-books.blogspot.com

لا مانع من طبعه

بولس باسيم
النائب الرسوليّ للّاتين
بيروت، ٢٤/٤/٩٢

جميع الحقوق محفوظة، طبعة ثالثة ١٩٩٦
دار المشرق ش م م - ص.ب. ٩٤٦، بيروت

ISBN 2-7214-4799-8

توزيع: **المكتبة الشرقيّة**
ص.ب. ١٩٨٦، بيروت - لبنان

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأوَّل

الأمل والرجاء في الطبيعة

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

لنتطلّع إلى الشمس

وراء الغيوم القاتمة شمس ساطعة

لنفكّر في الأمل والرجاء في الطبيعة أو من خلال الطبيعة. كان الطقس منذ أيّام ممطرًا وشديد البرودة، والسماء ملبّدة بالغيوم، والشوارع غارقة في الوحل على أثر الأمطار. ثمّ خرجتُ اليوم إلى الشارع أتجوّل، فوجدت السماء زرقاء صافية، والشمس ساطعة، فشعرت بأنّ الطبيعة والأرض كلّها تجدّدت بعد فترات المطر والظلام، وأنّ الفترات المظلمة السوداء لم تستمرّ طويلاً، بل كانت موقّتة.

مع الشمس دائمًا نحن على موعد

وإن انتبهنا إلى تتابع الليل والنهار، لوجدنا أنّ فترة النوم في الليل لا تتجاوز ٨ أو ٩ ساعات، ثمّ تتغلّب الشمس على الظلام. وهكذا فإنّ تتابع الليل والنهار هو عندي مصدر أمل يوميًّا. حاولوا أن تتصوّروا مثلاً أنّ النور لم يشرق يومًا ما في الساعة السابعة صباحًا، وأنّ الظلام استمرّ حتّى الساعة الثامنة والتاسعة والعاشرة وحتّى الساعة الثانية عشرة ظهرًا. تصوّروا ما الذي سيحدث، لو استمرّ الحال كذلك لمدّة يومَين أو ثلاثة أيّام أو أسبوع.

سيحدث إحباط ويأس في الإنسانيّة، وسيقتحم البرد الكرة الأرضيّة تدريجيًّا، وتنسحب الحياة من الأرض. سيموت البشر، وسيشمل البرد كلّ

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

لنتطلَّع إلى الشمس

وراء الغيوم القاتمة شمس ساطعة

لنفكِّر في الأمل والرجاء في الطبيعة أو من خلال الطبيعة. كان الطقس منذ أيَّام ممطرًا وشديد البرودة، والسماء ملبَّدة بالغيوم، والشوارع غارقة في الوحل على أثر الأمطار. ثمّ خرجتُ اليوم إلى الشارع أتجوَّل، فوجدت السماء زرقاء صافية، والشمس ساطعة، فشعرت بأنّ الطبيعة والأرض كلّها تجدَّدت بعد فترات المطر والظلام، وأنّ الفترات المظلمة السوداء لم تستمرّ طويلاً، بل كانت موقّتة.

مع الشمس دائمًا نحن على موعد

وإن انتبهنا إلى تتابع الليل والنهار، لوجدنا أنّ فترة النوم في الليل لا تتجاوز ٨ أو ٩ ساعات، ثمّ تتغلَّب الشمس على الظلام. وهكذا فإنّ تتابع الليل والنهار هو عندي مصدر أمل يوميًّا. حاولوا أن تتصوَّروا مثلاً أنّ النور لم يشرق يومًا ما في الساعة السابعة صباحًا، وأنّ الظلام استمرّ حتّى الساعة الثامنة والتاسعة والعاشرة وحتَّى الساعة الثانية عشرة ظهرًا. تصوَّروا ما الذي سيحدث، لو استمرّ الحال كذلك لمدَّة يومَين أو ثلاثة أيّام أو أسبوع.

سيحدث إحباط ويأس في الإنسانيَّة، وسيقتحم البرد الكرة الأرضيَّة تدريجيًّا، وتنسحب الحياة من الأرض. سيموت البشر، وسيشمل البرد كلّ

coptic-books.blogspot.com

الطبيعة، وتتحوَّل المياه إلى ثلوج والأرض إلى صحراء، ويعود كلّ شيء إلى جماد. ولكن الحمد للّه، لأنَّ الشمس تشرق كلّ يوم. وهذا ما يجب أن يكون عندي إشارة أمل.

شروق الشمس وحتميّة حبّ اللّه

لقد اعتدنا أن نرى الشمس تشرق كلّ يوم، ونجد أنّ هذا شيء طبيعيّ... وهو طبيعيّ فعلاً. ولكن ينبغي أن نشكر اللّه على ذلك، وأن نشعر كلّ يوم بأنّه كان من الممكن أن لا تشرق الشمس. ولكن شروقها هو نعمة يوميَّة على عالمنا.

فعندما أراها، أقول: الحمد للّه، وأنا أعرف أنّها ستشرق، لأنّي أعرف أنّ اللّه يحبّنا، وأنّ شروقها هو عندي إشارة يوميَّة متكرِّرة إلى حبّ اللّه للإنسان، وأَنا أتلمَّسه من خلالها.

لقد اعتاد الناس شروق الشمس يوميًّا، ولم يعتادوا أن يروا في ذلك نعمة تستحقّ أن يشكروا اللّه عليها، وكأنّهم يقولون: بالطبع، يا ربّ، ستشرق الشمس غدًا، ويجب أن تشرق، لأنّه حدث طبيعيّ، ولكنَّه يؤكِّد لك أنّها ستشرق، لأنّها نعمة، ولكي أجعلك تشعر يوميًّا بأنّني أُحبّك. وحُبّي هذا لك يتجدَّد كلّ يوم، فهي حتميَّة الحبّ، لا حتميَّة الطبيعة.

لا أزمة طاقة تحت الشمس

نحن نتكلَّم كثيرًا عن أزمة الطاقة ونحذِّر منها. فالبترول سينتهي بعد حوالى ٦٠ أو ٨٠ سنة. أمّا الطاقة النوويَّة، فرغم أنّه ما زالت تكتنفها مشاكل متعدِّدة حتَّى تصل إلى وضع مأمون، فهي لنا أيضًا مصدر رجاء كبير، إذ إنّه في سنتيمتر مكعَّب واحد من المادَّة، داخل خلطة واحدة صغيرة مثلاً، طاقة يمكنها أن تدير أجهزة بلد بأكملها لمدّة شهر. فالطاقة المختبئة داخل المادَّة لامحدودة، وكأنَّها نار أو بركان. فالبركان ليس في بطن الأرض فقط، بل

coptic-books.blogspot.com

في قلب كلّ كتلة صغيرة. «لا تخافوا يا قليلي الإيمان». فاللّه قد دبَّر كلّ شيء، وقبل أن نفكِّر نحن، كان قد فكَّر قبلنا في مصادر لامحدودة للطاقة أعدَّها لخدمة الإنسان.

وقد اتَّجهت كثير من الأبحاث العلميَّة إلى الشمس لتستفيد منها كمصدر للطاقة. وعندما نتصوَّر كَم من المليارات من الكيلوات تتدفَّق يوميًّا على صحارى مصر مثلاً بلا جدوى وبلا استغلال، أقول: إلى متى نتركها تضيع سدًى؟

فلو التقطنا هذه الطاقة الشمسيَّة لمدَّة ساعة، فمن الممكن أن تدير كلّ مصانع بلد مدّة آلاف السنين.

ولكن أمام أزمة الطاقة اطمئنّوا. فعلى مدى الأجيال القادمة، التي سيراها أولادكم وأحفادكم، ستستمر الطاقة الشمسيَّة ملايين من السنين إلى أن تخمد الشمس... إطمئنّوا. وهذا في نظري مصدر تفاؤل. وعندما يكثر الرأي العامّ في الحديث عن أزمة الطاقة والتحذير منها، أقول: يا ربّ، عندما خلقت العالم، كنت تعرف جيِّدًا ما أنت فاعله، ولم تبخل على الإنسان بالطاقة. وانطلاقًا من ذلك، سيكون لدينا من الطاقة ما يكفي ويزيد.

وإذا تساءلتَ: لماذا وضع اللّه هذه الطاقة الشمسيَّة بهذه الكمِّيَّة التي تذهب سدًى وتتشتّت دون الاستفادة منها؟ أجبتُ: لأنّ اللّه هو السخيّ الكريم الذي، إذا ما وضع شيئًا، لا يفعله باخلاً، بل يفعله بطريقة ملوكيَّة ويوزِّع نعمته بسخاء. ومع ذلك، عندما نقف أمام هذا الإله، نطلب إليه بخجل وتردّد، وبعد مقدِّمات طويلة، نعمًا متواضعة، ولكن يجب أن نعرف أنّنا أمام كائن يمتلك ينابيع لا تنضب، بوسعها أن تروي عطش قلوبنا اللامتناهي. فلنطلب إليه النعم العظيمة التي تبدو بعيدة المنال، وذلك بثقة الأبناء أمام أب يجد كلّ سروره وسعادته في أن يعطي. فها هي الشمس تقول لي: أنا مصدر طاقة لامتناهية. إطمئنّوا، ستجدوا فيَّ ما يكفيكم منها. لا تخافوا، لن تموتوا من البرد في الليل... لن تموتوا من أزمة الطاقة... وبذلك أستوحي من الشمس مصدرًا للأمل والرجاء.

coptic-books.blogspot.com

الطبيعة، وتتحوَّل المياه إلى ثلوج والأرض إلى صحراء، ويعود كلّ شيء إلى جماد. ولكن الحمد للّه، لأنَّ الشمس تشرق كلّ يوم. وهذا ما يجب أن يكون عندي إشارة أمل.

شروق الشمس وحتميّة حبّ اللّه

لقد اعتدنا أن نرى الشمس تشرق كلّ يوم، ونجد أنّ هذا شيء طبيعيّ... وهو طبيعيّ فعلاً. ولكن ينبغي أن نشكر اللّه على ذلك، وأن نشعر كلّ يوم بأنّه كان من الممكن أن لا تشرق الشمس. ولكن شروقها هو نعمة يوميَّة على عالمنا.

فعندما أراها، أقول: الحمد للّه، وأنا أعرف أنّها ستشرق، لأنّي أعرف أنّ اللّه يحبّنا، وأنّ شروقها هو عندي إشارة يوميَّة متكرِّرة إلى حبّ اللّه للإنسان، وأنا أتلمَّسه من خلالها.

لقد اعتاد الناس شروق الشمس يوميًّا، ولم يعتادوا أن يروا في ذلك نعمة تستحقّ أن يشكروا اللّه عليها، وكأنّهم يقولون: بالطبع، يا ربّ، ستشرق الشمس غدًا، ويجب أن تشرق، لأنّه حدث طبيعيّ، ولكنَّه يؤكِّد لك أنّها ستشرق، لأنّها نعمة، ولكي أجعلك تشعر يوميًّا بأنّني أُحبّك. وحُبّي هذا لك يتجدَّد كلّ يوم، فهي حتميَّة الحبّ، لا حتميَّة الطبيعة.

لا أزمة طاقة تحت الشمس

نحن نتكلَّم كثيرًا عن أزمة الطاقة ونحذِّر منها. فالبترول سينتهي بعد حوالى ٦٠ أو ٨٠ سنة. أمّا الطاقة النوويَّة، فرغم أنّه ما زالت تكتنفها مشاكل متعدِّدة حتَّى تصل إلى وضع مأمون، فهي لنا أيضًا مصدر رجاء كبير، إذ إنّه في سنتيمتر مكعَّب واحد من المادَّة، داخل خلطة واحدة صغيرة مثلاً، طاقة يمكنها أن تدير أجهزة بلد بأكملها لمدّة شهر. فالطاقة المختبئة داخل المادَّة لامحدودة، وكأنَّها نار أو بركان. فالبركان ليس في بطن الأرض فقط، بل

coptic-books.blogspot.com

في قلب كلّ كتلة صغيرة. «لا تخافوا يا قليلي الإيمان». فاللّه قد دبَّر كلّ شيء، وقبل أن نفكِّر نحن، كان قد فكَّر قبلنا في مصادر لامحدودة للطاقة أعدَّها لخدمة الإنسان.

وقد اتَّجهت كثير من الأبحاث العلميَّة إلى الشمس لتستفيد منها كمصدر للطاقة. وعندما نتصوَّر كَم من المليارات من الكيلوات تتدفَّق يوميًّا على صحارى مصر مثلاً بلا جدوى وبلا استغلال، أقول: إلى متى نتركها تضيع سدًى؟

فلو التقطنا هذه الطاقة الشمسيَّة لمدَّة ساعة، فمن الممكن أن تدير كلّ مصانع بلد مدّة آلاف السنين.

ولكن أمام أزمة الطاقة اطمئنّوا. فعلى مدى الأجيال القادمة، التي سيراها أولادكم وأحفادكم، ستستمر الطاقة الشمسيَّة ملايين من السنين إلى أن تخمد الشمس... إطمئنّوا. وهذا في نظري مصدر تفاؤل. وعندما يكثر الرأي العامّ في الحديث عن أزمة الطاقة والتحذير منها، أقول: يا ربّ، عندما خلقت العالم، كنت تعرف جيِّدًا ما أنت فاعله، ولم تبخل على الإنسان بالطاقة. وانطلاقًا من ذلك، سيكون لدينا من الطاقة ما يكفي ويزيد.

وإذا تساءلتَ: لماذا وضع اللّه هذه الطاقة الشمسيَّة بهذه الكمِّيَّة التي تذهب سدًى وتتشتّت دون الاستفادة منها؟ أجبتُ: لأنّ اللّه هو السخيّ الكريم الذي، إذا ما وضع شيئًا، لا يفعله باخلاً، بل يفعله بطريقة ملوكيَّة ويوزِّع نعمته بسخاء. ومع ذلك، عندما نقف أمام هذا الإله، نطلب إليه بخجل وتردّد، وبعد مقدِّمات طويلة، نعمًا متواضعة، ولكن يجب أن نعرف أنّنا أمام كائن يمتلك ينابيع لا تنضب، بوسعها أن تروي عطش قلوبنا اللامتناهي. فلنطلب إليه النعم العظيمة التي تبدو بعيدة المنال، وذلك بثقة الأبناء أمام أب يجد كلّ سروره وسعادته في أن يعطي. فها هي الشمس تقول لي: أنا مصدر طاقة لامتناهية. إطمئنّوا، ستجدوا فيَّ ما يكفيكم منها. لا تخافوا، لن تموتوا من البرد في الليل... لن تموتوا من أزمة الطاقة... وبذلك أستوحي من الشمس مصدرًا للأمل والرجاء.

coptic-books.blogspot.com

ولذلك تصوَّر المصريّون القدماء اللّه على شكل الشمس، وأخناتون خاصّةً، حين أراد أن يجد رمزًا للّه غير الصنم أو التمثال، إذ كان يعرف أنّ اللّه فوق كلّ ذلك، فاتّخذ الشمس لأنّه وجد فيها مصدرًا للخير والدفء، مصدرًا للنور والحياة، مصدرًا للفرح والسعادة، مصدرًا لكلّ شيء، فصوَّر اللّه على شكل قرص الشمس، تخرج منه الأشعّة، وفي نهاية كلّ شعاع، يد مفتوحة لتعطي وتبذر وتمنح الحياة. فتلاحظون في جميع صور أخناتون أنّه يرفع يده إلى فوق نحو قرص الشمس، فهي لوحة جميلة جدًّا... يا حبّذا لو علَّقناها في حجرتنا أو ركّزناها في ذهننا لنشعر أنّه، في كلّ شعاع من أشعّة الشمس، تصل إلينا في نهايته يد اللّه. فكلّما أشعر بالدفء والمتعة والانبساط تحت أشعّة الشمس، عندما أستلقي على شاطئ البحر أو أتجوَّل لأتمتَّع بشمس الجبال أو في أيّ مكان أحتاج فيه إلى الدفء أثناء البرد، لا ينبغي أن يكون انبساطي انبساط الحيوان، عندما يتمتّع بالدفء، بل أن يستولي عليَّ شعور دينيّ من خلال ذلك، إذ إنّه، في كلّ شعاع، تأتي يد اللّه لتلمسني ولتقول لي: لا تخف، أنا معك. وأشعر بحنان اللّه من خلال المتعة التي أحسّ بها في عمليَّة بسيطة عاديَّة، وهي الجلوس أو السير في الشمس للاستمتاع بها، إذ ليست كلّ متعة هي متعة حيوانيَّة أو شهوانيَّة أو جسديَّة، بل من الممكن أن نربط بين المتعة الجسديَّة ومتعة الروح. ولماذا لا نتّخذ منها سلَّمًا نرتقي به إلى اللّه؟ ونجعل ذلك الشعور بالارتياح أو الانبساط وسيلة للشكر والتسبيح؟ فالمزامير تتّخذ المخلوقات واحدًا تِلْو الآخَر لتسبيح الربّ من خلالها: «سبِّحي اللّه أيّتها السموات، سبِّحيه أيّتها الأرض، سبِّحيه أيّتها البحار، سبِّحيه أيّتها الأسماك والحيوانات والطيور، سبِّحيه أيّتها الأشجار. ولكن هذا التسبيح لا ينبغي أن يكون بفمي فقط، بل يجب أن تسبِّح اللّه كلّ خلية من خلايا جسمي الذي يمتصّ أشعّة الشمس، حين تسقط عليه، حتّى يتحوّل هذا الجسم إلى صرخة نحو الإله الحيّ. وهذا ما ذكرته المزامير: «قلبي وجسمي يهلِّلان بالإله الحيّ». وهذا ما يدلّ على أنّ جسمي أيضًا يتهلَّل، لا فمي فقط، فالجسم أيضًا يستطيع أن يتكلَّم.

coptic-books.blogspot.com

وأريد هنا أن أقول إنّ الإنسان يمكنه أن يصلّي «صلاة الجسم» أو «صلاة الإحساس». وتلك متعة دينيّة يتذوّقها الناس الذين يتفهّمون هذه الكلمة. ومن النادر أن نجد مثل هؤلاء، لأنَّ كلمة متعة عند الكثيرين تتعارض مع الصفة الدينيّة، على أساس أنّ كلّ ما هو دينيّ هو جافّ أو كئيب ولا يمكن أن يكون ممتعًا، وما دام جافًّا فهو دينيّ، أو كان ممتعًا فهو جسديّ. ولكن أريد هنا أن أقول إنّ هناك أيضًا المتعة الدينيّة. ولذلك، فإن كنت مصريًّا، كان من الممكن أن أستعيد شعور أخناتون وقدماء المصريّين أمام قرص الشمس وأتّخذه رمزًا للّه، أتّخذه في حقيقته المادّيّة وأستشفّ من خلالها مجد اللّه. وكذلك أتنبّه إلى الطابع الخاصّ بكلّ فترة من فترات الشمس في الشروق والغروب والظهر وبعد الظهر.

تعلّموا جميعًا أنّه، لولا الشمس، لقُضِيَ على بعض البلدان منذ زمن بعيد بسبب انتشار القذارة والأوبئة والأمراض. ولكن الشمس تشرق يوميًّا لتطهّر كلّ شوارع المدن والقرى في جميع أنحاء البلاد. وأتصوَّر أنّه، لو غابت الشمس أسبوعًا واحدًا، لوجدتَ الفئران تنطلق والأوبئة والأمراض تنتشر لتقضي على الشعب من جرّاء القذارة المتوفّرة التي نعيش فيها. ولكن ها هي الشمس تشرق يوميًّا لتطهّر كلّ شيء في عمليّة تنقية مستمرّة. وإذا كان التعقيم يتمّ آليًّا في سويسرا مثلاً، فلنشكر اللّه على أنّه يتولّى هذه المهمّة في بعض البلدان.

ومن خلال ذلك نفهم أنّه ما دام اللّه هو الذي ينقّي، فمَن يعرّض نفسه أمام اللّه، يتنقّى قلبه، لأنّ الصلاة في حدّ ذاتها هي تنقية للإنسان وتطهير له. وقد نفكّر أنّ التطهير وعمليّة الاهتداء مقصورتان على سرّ التوبة أو الاعتراف. وأُريد أن أُؤكّد أنّ كلّ صلاة هي عمليّة تطهير، يكتشف فيها الإنسان أنّه يتغيّر أثناء تعريض نفسه أمام أشعّة اللّه.

coptic-books.blogspot.com

ولذلك تصوَّر المصريّون القدماء اللّه على شكل الشمس، وأخناتون خاصّةً، حين أراد أن يجد رمزًا للّه غير الصنم أو التمثال، إذ كان يعرف أنّ اللّه فوق كلّ ذلك، فاتّخذ الشمس لأنّه وجد فيها مصدرًا للخير والدفء، مصدرًا للنور والحياة، مصدرًا للفرح والسعادة، مصدرًا لكلّ شيء، فصوَّر اللّه على شكل قرص الشمس، تخرج منه الأشعّة، وفي نهاية كلّ شعاع، يد مفتوحة لتعطي وتبذر وتمنح الحياة. فتلاحظون في جميع صور أخناتون أنّه يرفع يده إلى فوق نحو قرص الشمس، فهي لوحة جميلة جدًّا... يا حبّذا لو علّقناها في حجرتنا أو ركّزناها في ذهننا لنشعر أنّه، في كلّ شعاع من أشعّة الشمس، تصل إلينا في نهايته يد اللّه. فكلّما أشعر بالدفء والمتعة والانبساط تحت أشعّة الشمس، عندما أستلقي على شاطئ البحر أو أتجوَّل لأتمتَّع بشمس الجبال أو في أيّ مكان أحتاج فيه إلى الدفء أثناء البرد، لا ينبغي أن يكون انبساطي انبساط الحيوان، عندما يتمتّع بالدفء، بل أن يستولي عليَّ شعور دينيّ من خلال ذلك، إذ إنّه، في كلّ شعاع، تأتي يد اللّه لتلمسني ولتقول لي: لا تخف، أنا معك. وأشعر بحنان اللّه من خلال المتعة التي أحسّ بها في عمليَّة بسيطة عاديَّة، وهي الجلوس أو السير في الشمس للاستمتاع بها، إذ ليست كلّ متعة هي متعة حيوانيَّة أو شهوانيَّة أو جسديَّة، بل من الممكن أن نربط بين المتعة الجسديَّة ومتعة الروح. ولماذا لا نتّخذ منها سلَّمًا نرتقي به إلى اللّه؟ ونجعل ذلك الشعور بالارتياح أو الانبساط وسيلة للشكر والتسبيح؟ فالمزامير تتّخذ المخلوقات واحدًا تِلْو الآخَر لتسبيح الربّ من خلالها: «سبِّحي اللّه أيّتها السموات، سبِّحيه أيّتها الأرض، سبِّحيه أيّتها البحار، سبِّحيه أيّتها الأسماك والحيوانات والطيور، سبِّحيه أيّتها الأشجار. ولكن هذا التسبيح لا ينبغي أن يكون بفمي فقط، بل يجب أن تسبِّح اللّه كلّ خلية من خلايا جسمي الذي يمتصّ أشعّة الشمس، حين تسقط عليه، حتّى يتحوّل هذا الجسم إلى صرخة نحو الإله الحيّ. وهذا ما ذكرته المزامير: «قلبي وجسمي يهلِّلان بالإله الحيّ». وهذا ما يدلّ على أنّ جسمي أيضًا يتهلَّل، لا فمي فقط، فالجسم أيضًا يستطيع أن يتكلَّم.

coptic-books.blogspot.com

وأريد هنا أن أقول إنّ الإنسان يمكنه أن يصلّي «صلاة الجسم» أو «صلاة الإحساس». وتلك متعة دينيّة يتذوّقها الناس الذين يتفهّمون هذه الكلمة. ومن النادر أن نجد مثل هؤلاء، لأنَّ كلمة متعة عند الكثيرين تتعارض مع الصفة الدينيّة، على أساس أنّ كلّ ما هو دينيّ هو جافّ أو كئيب ولا يمكن أن يكون ممتعًا، وما دام جافًّا فهو دينيّ، أو كان ممتعًا فهو جسديّ. ولكن أريد هنا أن أقول إنّ هناك أيضًا المتعة الدينيّة. ولذلك، فإن كنت مصريًّا، كان من الممكن أن أستعيد شعور أخناتون وقدماء المصريّين أمام قرص الشمس وأتّخذه رمزًا للّه، أتّخذه في حقيقته المادّيّة وأستشفّ من خلالها مجد اللّه. وكذلك أتنبّه إلى الطابع الخاصّ بكلّ فترة من فترات الشمس في الشروق والغروب والظهر وبعد الظهر.

تعلّموا جميعًا أنّه، لولا الشمس، لقُضِيَ على بعض البلدان منذ زمن بعيد بسبب انتشار القذارة والأوبئة والأمراض. ولكن الشمس تشرق يوميًّا لتطهّر كلّ شوارع المدن والقرى في جميع أنحاء البلاد. وأتصوَّر أنّه، لو غابت الشمس أسبوعًا واحدًا، لوجدتَ الفئران تنطلق والأوبئة والأمراض تنتشر لتقضي على الشعب من جرّاء القذارة المتوفّرة التي نعيش فيها. ولكن ها هي الشمس تشرق يوميًّا لتطهّر كلّ شيء في عمليّة تنقية مستمرّة. وإذا كان التعقيم يتمّ آليًّا في سويسرا مثلاً، فلنشكر اللّه على أنّه يتولّى هذه المهمّة في بعض البلدان.

ومن خلال ذلك نفهم أنّه ما دام اللّه هو الذي ينقّي، فمَن يعرّض نفسه أمام اللّه، يتنقّى قلبه، لأنّ الصلاة في حدّ ذاتها هي تنقية للإنسان وتطهير له. وقد نفكّر أنّ التطهير وعمليّة الاهتداء مقصورتان على سرّ التوبة أو الاعتراف. وأُريد أن أُؤكّد أنّ كلّ صلاة هي عمليّة تطهير، يكتشف فيها الإنسان أنّه يتغيَّر أثناء تعريض نفسه أمام أشعّة اللّه.

coptic-books.blogspot.com

عيد الشمس وميلاد المسيح

لماذا اختارت الكنيسة ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) بالذات للاحتفال بعيد الميلاد؟

في الواقع، لا يعرف أحد على وجه التحديد متى وُلِد المسيح. فلا هو حقيقةً في ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) ولا في ٧ كانون الثاني (يناير). وهذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف التقاويم المبنيَّة على أساس فلكيّ وعلميّ، غير طائفيّ إطلاقًا.

كان قدماء الفراعنة والفرس والعبرانيِّين واليونانيِّين والرومان يحتفلون في أواخر كانون الأوَّل (ديسمبر) بعيد النور أو عيد الشمس الظافرة، علمًا بأنّ النهار يقلّ تدريجيًّا ابتداءً من ٢٢ حزيران (يونيو) حتَّى ٢٢ كانون الأوَّل (ديسمبر) حيث يبدأ النهار في الزيادة. وكان القدماء يرَون النهار وهو يقصر وكأنّه مهدَّد بالاختناق والتلاشي في الليل الذي يبتلعه، وبذلك يكون الظفر للظلام والليل. ولكن عندما وجدوا أنّ النهار، ابتداءً من ٢٢ كانون الأوَّل (ديسمبر) يزيد تدريجيًّا، احتفلوا كلّهم بعيد النور الذي انتصر على الظلام، أو عيد الشمس الظافرة، لأنّهم شعروا بأنّ النور والشمس أقوى من الظلام والليل. وعندما أراد المسيحيّون أن يختاروا يومًا ليحتفلوا فيه بعيد ميلاد المسيح، وبما أنّه لا يعرف أحد على وجه التحديد متى وُلِد المسيح، فقد اختاروا ذلك اليوم وتلك المناسبة ـ عيد الشمس أو عيد النور ـ لِما كانت له من دلالة عظيمة جدًّا في نظرهم. فربطوا بينهما وبين الحقيقة الجديدة، وهي أنّ المسيح هو النور الحقيقيّ الآتي إلى العالم والمنتصر على الظلام، فاختاروا يوم ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) عيدًا لميلاده. ولم يتمّ اختيار يوم ٢٢ كانون الأول (ديسمبر)، إذ لم تكن هناك دقّة كبيرة في تحديد اليوم الأطول نهارًا. فكان هذا هو سبب اختيار ذلك التاريخ، للاحتفال بعيد ميلاد المسيح، الذي هو عندنا عيد النور الظافر، عيد الشمس الظافرة، عيد الأمل، عيد الرجاء.

coptic-books.blogspot.com

العودة إلى الطبيعة

نحو نظرة تأمُّليَّة أمام الطبيعة

فطوبى للإنسان الذي يستطيع أن يستشفّ، من خلال المظاهر الطبيعيَّة ومن ورائها، إشارات حبّ اللّه. علينا أن نجدِّد نظرتنا ونجعلها نظرة تأمُّليَّة تصوّفيَّة روحيَّة، تتخطَّى المظاهر الطبيعيَّة أو التي نسمِّيها طبيعيَّة، إذ ليس هناك طبيعة. ولكن ماذا تعني كلمة طبيعة؟

عندما نفحص الطبيعة من خلال علوم الفيزياء والكيمياء، نضع اللّه بين قوسَين، ونتتبَّع مظاهر الطبيعة. ولكن إن كانت نظرتنا أعمق وأثقب، نكتشف أنّه لا شيء يسمَّى طبيعة، بل أنَّ وراء الطبيعة شخصًا، ووجهًا، وحبًّا.

لم ننتبه إلى أنّ المظاهر الطبيعيَّة حولنا هي إشارات حبّ، بل نعتبرها طبيعيَّة بعقليَّتنا المتأثِّرة في أحكامها بقوانين علوم الكيمياء والفيزياء والطبّ وغيرها من العلوم التي تتناول الظواهر الطبيعيَّة البحتة من سطحها. وفقدنا النظرة الصحيحة والتأمُّليَّة إلى ما نسمِّيه الطبيعة، وتحوَّلت إلى نظرة نفعيَّة، فلم يعد الإنسان المعاصر يفكِّر أمام الشجرة في جمالها والتمتُّع بها، بل في إمكانيَّة قطعها للاستفادة منها. وإذا رأى جبلاً، لا يتأمَّل في عظمته أو جماله، بل يسأل هل هو يحتوي على معادن وكيف يستثمرها، ويحسب، أمام أيّ منظر طبيعيّ جميل، دخله الشهريّ، إذا ما أقام فندقًا حيث هذا الموقع.

coptic-books.blogspot.com

عيد الشمس وميلاد المسيح

لماذا اختارت الكنيسة ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) بالذات للاحتفال بعيد الميلاد؟

في الواقع، لا يعرف أحد على وجه التحديد متى وُلِد المسيح. فلا هو حقيقةً في ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) ولا في ٧ كانون الثاني (يناير). وهذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف التقاويم المبنيَّة على أساس فلكيّ وعلميّ، غير طائفيّ إطلاقًا.

كان قدماء الفراعنة والفرس والعبرانيِّين واليونانيِّين والرومان يحتفلون في أواخر كانون الأوَّل (ديسمبر) بعيد النور أو عيد الشمس الظافرة، علمًا بأنّ النهار يقلّ تدريجيًّا ابتداءً من ٢٢ حزيران (يونيو) حتَّى ٢٢ كانون الأوَّل (ديسمبر) حيث يبدأ النهار في الزيادة. وكان القدماء يرَون النهار وهو يقصر وكأنّه مهدَّد بالاختناق والتلاشي في الليل الذي يبتلعه، وبذلك يكون الظفر للظلام والليل. ولكن عندما وجدوا أنّ النهار، ابتداءً من ٢٢ كانون الأوَّل (ديسمبر) يزيد تدريجيًّا، احتفلوا كلّهم بعيد النور الذي انتصر على الظلام، أو عيد الشمس الظافرة، لأنّهم شعروا بأنّ النور والشمس أقوى من الظلام والليل. وعندما أراد المسيحيّون أن يختاروا يومًا ليحتفلوا فيه بعيد ميلاد المسيح، وبما أنّه لا يعرف أحد على وجه التحديد متى وُلِد المسيح، فقد اختاروا ذلك اليوم وتلك المناسبة ـ عيد الشمس أو عيد النور ـ لِما كانت له من دلالة عظيمة جدًّا في نظرهم. فربطوا بينهما وبين الحقيقة الجديدة، وهي أنّ المسيح هو النور الحقيقيّ الآتي إلى العالم والمنتصر على الظلام، فاختاروا يوم ٢٥ كانون الأوَّل (ديسمبر) عيدًا لميلاده. ولم يتمّ اختيار يوم ٢٢ كانون الأول (ديسمبر)، إذ لم تكن هناك دقّة كبيرة في تحديد اليوم الأطول نهارًا. فكان هذا هو سبب اختيار ذلك التاريخ، للاحتفال بعيد ميلاد المسيح، الذي هو عندنا عيد النور الظافر، عيد الشمس الظافرة، عيد الأمل، عيد الرجاء.

coptic-books.blogspot.com

العودة إلى الطبيعة

نحو نظرة تأمُّليَّة أمام الطبيعة

فطوبى للإنسان الذي يستطيع أن يستشفّ، من خلال المظاهر الطبيعيَّة ومن ورائها، إشارات حبّ اللّه. علينا أن نجدِّد نظرتنا ونجعلها نظرة تأمُّليَّة تصوّفيَّة روحيَّة، تتخطَّى المظاهر الطبيعيَّة أو التي نسمِّيها طبيعيَّة، إذ ليس هناك طبيعة. ولكن ماذا تعني كلمة طبيعة؟

عندما نفحص الطبيعة من خلال علوم الفيزياء والكيمياء، نضع اللّه بين قوسَين، ونتتبَّع مظاهر الطبيعة. ولكن إن كانت نظرتنا أعمق وأثقب، نكتشف أنّه لا شيء يسمَّى طبيعة، بل أنَّ وراء الطبيعة شخصًا، ووجهًا، وحبًّا.

لم ننتبه إلى أنّ المظاهر الطبيعيَّة حولنا هي إشارات حبّ، بل نعتبرها طبيعيَّة بعقليَّتنا المتأثِّرة في أحكامها بقوانين علوم الكيمياء والفيزياء والطبّ وغيرها من العلوم التي تتناول الظواهر الطبيعيَّة البحتة من سطحها. وفقدنا النظرة الصحيحة والتأمُّليَّة إلى ما نسمِّيه الطبيعة، وتحوَّلت إلى نظرة نفعيَّة، فلم يعد الإنسان المعاصر يفكِّر أمام الشجرة في جمالها والتمتُّع بها، بل في إمكانيَّة قطعها للاستفادة منها. وإذا رأى جبلاً، لا يتأمَّل في عظمته أو جماله، بل يسأل هل هو يحتوي على معادن وكيف يستثمرها، ويحسب، أمام أيّ منظر طبيعيّ جميل، دخله الشهريّ، إذا ما أقام فندقًا حيث هذا الموقع.

coptic-books.blogspot.com

هذا هو الإنسان المعاصر الذي يفكِّر أمام الطبيعة في المصلحة والمنفعة. ماذا سأفعل به؟ وكَم سيكون دخلي؟ في حين أنّ الإنسان البدائيّ يتناولها بنظرة جديدة، بنظرة الطفل، لا يبحث فيها عن المنفعة، بل يتعامل معها بقلب بسيط وبنظرة شفّافة.

ينبغي أن تتغيَّر نظرتنا إلى الطبيعة، لأنّ الطبيعة غير طبيعيَّة. وعلينا أن نستشفّ من الظواهر الطبيعيَّة آيات. والكتاب المقدَّس والقرآن وكلّ الكتب الدينيَّة في العالم تشير إليها بكلمة «آيات الطبيعة»، أي معجزات، وبالفعل فإنّ الظواهر الطبيعيَّة هي معجزة.

ولكنّنا، إزاء تكرار هذه المعجزات، فقدنا الدهش أمامها. فلو طار هذا الريكوردر في الهواء أمامنا، سندهش ونعتبرها معجزة، لأنّنا لم نعتد ذلك. ولكن إن رأينا الشجرة تنمو أو الشمس تشرق، نعتبر ذلك شيئًا طبيعيًّا، ونرى أنّ الشجرة يجب أن تنمو والشمس يجب أن تشرق، لأنّ العمليَّة تكرَّرت، وهذا التكرار جعلنا نعتادها. ولكن ما من شيء طبيعيّ في العالم، بل كلّ شيء معجزة مكرَّرة، وتكرارها لا ينفي أن تكون معجزة.

فالطبيعة لها روح ولها شخصيَّة... ومن ورائها شخص يكلِّمنا... اللّه يكلِّمنا من خلالها... كلّ شيء ينطق، كما تقول المزامير: «السماوات تذيع مجد اللّه والفلك يخبر بأعمال يديه». إنّ كلمة آية لا تعني «معجزة» فقط، بل تعني أيضًا إشارة مادِّيَّة إلى شيء من نوع آخر، روحيّ أو معنويّ. وفي الآيات الطبيعيَّة، نجد أنّ الشيء الروحيّ والمعنويّ هو حبّ اللّه الذي يتجلّى من خلال تلك الطبيعة.

فيا ليتنا نتنبَّه إلى ذلك فنعود إلى الأصل، إلى ذلك الإنسان البدائيّ الذي لم تفسده الحضارة. ولا يعني ذلك أنّ الحضارة سيِّئة، ولكن-الحضارة والعلم ينمِّيان في الإنسان اتِّجاهًا معيَّنًا، إن لم نصلحه ونوجِّهه اتِّجاهًا آخر، نفقد روحنا وإنسانيَّتنا وآدميَّتنا، وهذا ما يسمَّى العودة إلى الطبيعة، ونحن في أشدّ الحاجة إليها لأنَّنا نعيش في مدن بين وسائل المواصلات والآلات

coptic-books.blogspot.com

والاسفلت والجوّ الملوَّث، وقد غابت الخضرة عنها، فتحوَّلت إلى مستشفيات ومساجد وكلِّيَّات. وأصبحنا ندهش إن وجدنا في طريق شجرة ما زالت قائمة، وذلك لأنّ المدينة قتلت فينا روح الإحساس بالطبيعة. فللعودة إليها أهمِّيَّة كبرى في حياتنا لكي تتجدَّد فينا روح المجّانيَّة أمام الكون.

لنفتح صفحة جديدة كلّ يوم

يا ليتنا، مع كلّ إشراقة شمس، نشكر الربّ ونعيش يومًا جديدًا ونفتح صفحة جديدة، ولا نعود نتذكَّر متاعب الأمس، فإن «إلّي فات مات». فلا تعد تتذكّر المشاجرة التي جرت بالأمس مع حماتك، فاليوم يوم جديد... في الأمس أخفقت في الامتحان. هذا ما كان بالأمس، أمّا اليوم، فهو يوم جديد. في الأمس وُجِّهت إليَّ كلمة جارحة. هذا ما كان بالأمس، أمّا اليوم فهو يوم جديد. في الأمس حدث هذا وهذا وهذا. هذا كان في الأمس، أمّا اليوم فهو يوم جديد.

ما أسعد الإنسان الذي يستطيع أن يستقبل يومه كما تستقبل الطبيعة يومها، فيرى الطبيعة جديدة في صباح كلّ يوم حيث يغطِّي الندى أوراق الأشجار التي ترتعش مع نسمات الصباح، وكأنّها خارجة من يدي الخالق، كما خرجت في الصباح الأوَّل، حين خلق اللّه السموات والأرض وكانت الأرض بكرًا غضّة، منتعشة. وهذه النظرة إلى الصباح تضفي عليه طابع الجديد. وقد شعرتُ بذلك، عندما خرجت اليوم مبكرًا في جولة في المنطقة، وهذه حقيقة تستحقّ أن نتأمّلها، عندما يمحو الليل كلّ شوائب الأمس ويأتي صباح يوم جديد تنطلق فيه الطبيعة ويشرق فيه صباح يوم ثانٍ فيوم ثالث...

coptic-books.blogspot.com

هذا هو الإنسان المعاصر الذي يفكِّر أمام الطبيعة في المصلحة والمنفعة. ماذا سأفعل به؟ وكَم سيكون دخلي؟ في حين أنّ الإنسان البدائيّ يتناولها بنظرة جديدة، بنظرة الطفل، لا يبحث فيها عن المنفعة، بل يتعامل معها بقلب بسيط وبنظرة شفّافة.

ينبغي أن تتغيَّر نظرتنا إلى الطبيعة، لأنّ الطبيعة غير طبيعيَّة. وعلينا أن نستشفّ من الظواهر الطبيعيَّة آيات. والكتاب المقدَّس والقرآن وكلّ الكتب الدينيَّة في العالم تشير إليها بكلمة «آيات الطبيعة»، أي معجزات، وبالفعل فإنّ الظواهر الطبيعيَّة هي معجزة.

ولكنّنا، إزاء تكرار هذه المعجزات، فقدنا الدهش أمامها. فلو طار هذا الريكوردر في الهواء أمامنا، سندهش ونعتبرها معجزة، لأنّنا لم نعتد ذلك. ولكن إن رأينا الشجرة تنمو أو الشمس تشرق، نعتبر ذلك شيئًا طبيعيًّا، ونرى أنّ الشجرة يجب أن تنمو والشمس يجب أن تشرق، لأنّ العمليَّة تكرَّرت، وهذا التكرار جعلنا نعتادها. ولكن ما من شيء طبيعيّ في العالم، بل كلّ شيء معجزة مكرَّرة، وتكرارها لا ينفي أن تكون معجزة.

فالطبيعة لها روح ولها شخصيَّة... ومن ورائها شخص يكلِّمنا... اللّه يكلِّمنا من خلالها... كلّ شيء ينطق، كما تقول المزامير: «السماوات تذيع مجد اللّه والفلك يخبر بأعمال يديه». إنّ كلمة آية لا تعني «معجزة» فقط، بل تعني أيضًا إشارة مادِّيَّة إلى شيء من نوع آخر، روحيّ أو معنويّ. وفي الآيات الطبيعيَّة، نجد أنّ الشيء الروحيّ والمعنويّ هو حبّ اللّه الذي يتجلّى من خلال تلك الطبيعة.

فيا ليتنا نتنبَّه إلى ذلك فنعود إلى الأصل، إلى ذلك الإنسان البدائيّ الذي لم تفسده الحضارة. ولا يعني ذلك أنّ الحضارة سيِّئة، ولكن-الحضارة والعلم ينمِّيان في الإنسان اتِّجاهًا معيَّنًا، إن لم نصلحه ونوجِّهه اتِّجاهًا آخر، نفقد روحنا وإنسانيَّتنا وآدميَّتنا، وهذا ما يسمَّى العودة إلى الطبيعة، ونحن في أشدّ الحاجة إليها لأنَّنا نعيش في مدن بين وسائل المواصلات والآلات

coptic-books.blogspot.com

والاسفلت والجوّ الملوَّث، وقد غابت الخضرة عنها، فتحوَّلت إلى مستشفيات ومساجد وكلِّيَّات. وأصبحنا ندهش إن وجدنا في طريق شجرة ما زالت قائمة، وذلك لأنّ المدينة قتلت فينا روح الإحساس بالطبيعة. فللعودة إليها أهمِّيَّة كبرى في حياتنا لكي تتجدَّد فينا روح المجّانيَّة أمام الكون.

لنفتح صفحة جديدة كلّ يوم

يا ليتنا، مع كلّ إشراقة شمس، نشكر الربّ ونعيش يومًا جديدًا ونفتح صفحة جديدة، ولا نعود نتذكَّر متاعب الأمس، فإن «إلّي فات مات». فلا تعد تتذكّر المشاجرة التي جرت بالأمس مع حماتك، فاليوم يوم جديد... في الأمس أخفقت في الامتحان. هذا ما كان بالأمس، أمّا اليوم، فهو يوم جديد. في الأمس وُجِّهت إليَّ كلمة جارحة. هذا ما كان بالأمس، أمّا اليوم فهو يوم جديد. في الأمس حدث هذا وهذا وهذا. هذا كان في الأمس، أمّا اليوم فهو يوم جديد.

ما أسعد الإنسان الذي يستطيع أن يستقبل يومه كما تستقبل الطبيعة يومها، فيرى الطبيعة جديدة في صباح كلّ يوم حيث يغطِّي الندى أوراق الأشجار التي ترتعش مع نسمات الصباح، وكأنّها خارجة من يدي الخالق، كما خرجت في الصباح الأوَّل، حين خلق اللّه السموات والأرض وكانت الأرض بكرًا غضَّة، منتعشة. وهذه النظرة إلى الصباح تضفي عليه طابع الجديد. وقد شعرتُ بذلك، عندما خرجت اليوم مبكرًا في جولة في المنطقة، وهذه حقيقة تستحقّ أن نتأمّلها، عندما يمحو الليل كلّ شوائب الأمس ويأتي صباح يوم جديد تنطلق فيه الطبيعة ويشرق فيه صباح يوم ثانٍ فيوم ثالث...

coptic-books.blogspot.com

ولنتذوَّق صباح الخير

يمكنني أن أبدأ كلّ يوم حياة جديدة أو أُعيد حياتي مرّة أُخرى كلّ يوم انطلاقًا من هذا الشعور. فلا ينبغي أن نردِّد: «أنا يئست وانتهيت، فقد حدث هذا وهذا». فالذي حدث حدث بالأمس، أمّا اليوم فهو يوم جديد... لا تدعوا الشمس تغرب على غضبكم. وعندما نوجِّه تحيَّة الصباح إلى أحد: «صباح الخير»، يجب أن توحي إلينا هذه الكلمة بأنّ الشرّ قد فات بالأمس وأوَّل أمس، أي في الماضي، وأنّ الخير سيمحو شرّ الأمس ومساوئه.

وإذا تقصَّينا معنى «صباح الخيرات، صباح القشدة، صباح العسل، صباح الفل، وصباح الورد»، نجد أنّ في كلّ هذه العبارات استيحاء لِمعانٍ روحيَّة نعيشها وفكرة جديدة ومعنى جديد من المصطلحات العاديَّة المستخدمة في حياتنا اليوميَّة.

وفي الكتاب المقدَّس، نجد المصطلحات نفسها يطبِّقها اللّه على أرض الميعاد التي تدرّ لبنًا وعسلاً، ويجب طبعًا أن تُفهم هذه الكلمات بالمعنى المجازي. فاللبن والعسل يدلاَّن على أرض غنيَّة بالخيرات والبركات. وليس المقصود بالمعنى الجديد أن نجد كلّ يوم طريقة جديدة لنقول: «صباح الخير»، بل أن توحي هذه الكلمة إلينا بالرجاء والتجديد وكأنّنا نقول: «يا سيِّدي، مات ما فات، فعش يومًا جديدًا».

كلمة «صباح الخير» كلمة حلوة أتذوَّقها، لأنَّها توحي إليَّ بمعانٍ ترتبط بها كالقيامة والتجديد والانتعاش والانطلاق. ومن الآن فصاعدًا ثقوا بأنّكم، عندما تسمعونها، ستشعرون بهذه المعاني الخفيَّة كلّها. فالصباح هو الأمل... الصباح هو الرجاء، الصباح هو الانطلاق، هو التجديد، الصباح هو البداية، حتّى إنّه استُخدم في اللغة العربيَّة اسمَ علم.

شعرت بلذّة الصباح من خلال فيلم شاهدته وأنا في السابعة عشرة من عمري، وهذا الفيلم لا يمكن أن أنساه، فقد كان يصوِّر الطبيعة في اللحظات التي تسبق شروق الشمس، حين تستيقظ وترتعش من البرودة، ومنظرَ

coptic-books.blogspot.com

العصافير، ورجلاً يسير على الطريق يصفِّر بشفتَيه. وبعد مشاهدتي لهذا الفيلم، بدأت أتذوَّق معنى الصباح، فصار لي كلّ صباح شيئًا خاصًّا له طعمه ولذّته وعمقه. وأريد أن أنقل إليكم هذا الاختبار لتشعروا بالإحساس نفسه. وعندما نلقي على أحد هذه التحيَّة، يجب أن نشعر بمعناها لأنّ كلّ صباح يأتي بخير. فينبغي أن نجدِّد الكلمات التي نردِّدها، لأنّنا كلَّما استعملناها، ثلمت وفقدت حدّتها ومعناها. ولنتذكَّر العبارة التي نردِّدها في القدَّاس الإلهيّ: «هللويا! هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ، فلنفرح ولنبتهج فيه».

نحن في بلادنا نتمتَّع بسماء زرقاء حلوة صافية، وهذا في حدّ ذاته دعوة إلى التفاؤل والرجاء والأمل، على عكس ما هو الطقس في بلاد أوروبّا حيث الشتاء الطويل والسماء الملبَّدة بالغيوم، والرطوبة والبرد، والضباب في الصيف حتَّى الساعة العاشرة صباحًا، وعندئذ تكاد أشعَّة الشمس أن تخترق هذا الضباب قليلاً ثمَّ تحتجب.

وعندما عشت في بلاد أوروبّا ورأيت هذا الطقس، كنت أقول: «يا ربّ، أين سماء بلادي؟ «وأين شمسها؟ وأين نورها؟ ومنذ تلك الأيّام، شعرت، عندما عدت إلى بلادي، بأنّها بلاد مباركة محظوظة. ولكن لا نعرف كيف نشكر اللّه عليها... لا سيّما وأنّ الأيّام الباردة والممطرة عندنا عابرة لا تستمرّ طويلاً، وبعدها تتجدَّد الطبيعة. وقد يكون هذا الطقس هو العامل الأساسيّ في تكوين طباع التفاؤل والبشاشة التي يتَّصف بها الإنسان الشرقيّ.

coptic-books.blogspot.com

ولنتذوَّق صباح الخير

يمكنني أن أبدأ كلّ يوم حياة جديدة أو أُعيد حياتي مرّة أُخرى كلّ يوم انطلاقًا من هذا الشعور. فلا ينبغي أن نردِّد: «أنا يئست وانتهيت، فقد حدث هذا وهذا». فالذي حدث حدث بالأمس، أمّا اليوم فهو يوم جديد... لا تدعوا الشمس تغرب على غضبكم. وعندما نوجِّه تحيَّة الصباح إلى أحد: «صباح الخير»، يجب أن توحي إلينا هذه الكلمة بأنّ الشرّ قد فات بالأمس وأوَّل أمس، أي في الماضي، وأنّ الخير سيمحو شرّ الأمس ومساوئه.

وإذا تقصَّينا معنى «صباح الخيرات، صباح القشدة، صباح العسل، صباح الفل، وصباح الورد»، نجد أنّ في كلّ هذه العبارات استيحاء لِمعانٍ روحيَّة نعيشها وفكرة جديدة ومعنى جديد من المصطلحات العاديَّة المستخدمة في حياتنا اليوميَّة.

وفي الكتاب المقدَّس، نجد المصطلحات نفسها يطبِّقها اللّه على أرض الميعاد التي تدرّ لبنًا وعسلاً، ويجب طبعًا أن تُفهم هذه الكلمات بالمعنى المجازي. فاللبن والعسل يدلاَّن على أرض غنيَّة بالخيرات والبركات. وليس المقصود بالمعنى الجديد أن نجد كلّ يوم طريقة جديدة لنقول: «صباح الخير»، بل أن توحي هذه الكلمة إلينا بالرجاء والتجديد وكأنّنا نقول: «يا سيِّدي، مات ما فات، فعش يومًا جديدًا».

كلمة «صباح الخير» كلمة حلوة أتذوَّقها، لأنَّها توحي إليَّ بمعانٍ ترتبط بها كالقيامة والتجديد والانتعاش والانطلاق. ومن الآن فصاعدًا ثقوا بأنّكم، عندما تسمعونها، ستشعرون بهذه المعاني الخفيَّة كلّها. فالصباح هو الأمل... الصباح هو الرجاء، الصباح هو الانطلاق، هو التجديد، الصباح هو البداية، حتّى إنّه استُخدم في اللغة العربيَّة اسمَ علم.

شعرت بلذّة الصباح من خلال فيلم شاهدته وأنا في السابعة عشرة من عمري، وهذا الفيلم لا يمكن أن أنساه، فقد كان يصوِّر الطبيعة في اللحظات التي تسبق شروق الشمس، حين تستيقظ وترتعش من البرودة، ومنظرَ

coptic-books.blogspot.com

العصافير، ورجلاً يسير على الطريق يصفِّر بشفتَيه. وبعد مشاهدتي لهذا الفيلم، بدأت أتذوَّق معنى الصباح، فصار لي كلّ صباح شيئًا خاصًّا له طعمه ولذّته وعمقه. وأريد أن أنقل إليكم هذا الاختبار لتشعروا بالإحساس نفسه. وعندما نلقي على أحد هذه التحيَّة، يجب أن نشعر بمعناها لأنّ كلّ صباح يأتي بخير. فينبغي أن نجدِّد الكلمات التي نردِّدها، لأنّنا كلَّما استعملناها، ثلمت وفقدت حدّتها ومعناها. ولنتذكَّر العبارة التي نردِّدها في القدَّاس الإلهيّ: «هللويا! هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ، فلنفرح ولنبتهج فيه».

نحن في بلادنا نتمتَّع بسماء زرقاء حلوة صافية، وهذا في حدّ ذاته دعوة إلى التفاؤل والرجاء والأمل، على عكس ما هو الطقس في بلاد أوروبّا حيث الشتاء الطويل والسماء الملبَّدة بالغيوم، والرطوبة والبرد، والضباب في الصيف حتَّى الساعة العاشرة صباحًا، وعندئذ تكاد أشعَّة الشمس أن تخترق هذا الضباب قليلاً ثمَّ تحتجب.

وعندما عشت في بلاد أوروبّا ورأيت هذا الطقس، كنت أقول: «يا ربّ، أين سماء بلادي؟ «وأين شمسها؟ وأين نورها؟ ومنذ تلك الأيّام، شعرت، عندما عدت إلى بلادي، بأنّها بلاد مباركة محظوظة. ولكن لا نعرف كيف نشكر اللّه عليها... لا سيّما وأنّ الأيّام الباردة والممطرة عندنا عابرة لا تستمرّ طويلاً، وبعدها تتجدَّد الطبيعة. وقد يكون هذا الطقس هو العامل الأساسيّ في تكوين طباع التفاؤل والبشاشة التي يتَّصف بها الإنسان الشرقيّ.

coptic-books.blogspot.com

الرجاء يغزو الكون على مدى التاريخ

إنتصار الخير في النهاية

يوحي إلينا كلّ ما سبق بأنّ الخير في العالم هو أقوى من الشرّ. وهذه حقيقة يجب أن نؤمن بها، لأنّ الكلمة النهائيّة هي للخير، لا للشرّ. وإن أردنا أن نتعمَّق في هذه النظرة، لنفتح الصفحة الأولى من الكتاب المقدَّس، في خلق العالم، الذي هو في حدّ ذاته إقرار وإعلان أنَّ اللّه ينتصر تدريجيًّا على كلّ ما هو سلبيّ وكلّ ما هو مضادّ للخير.

تعرفون أنّه لم يكن هناك عالَم أو كون في البدء، وأنّ اللّه أوجده من لا شيء بكلمة. وهذا يعني أنّه كان من الممكن أن يستمرّ العدم للأبد، فلا يكون شيء إطلاقًا. لا نحن ولا العالم ولا الكون. ولكن، عندما أراد اللّه أن يخلق، اتَّخذ قرارًا بأنْ يكون الوجود رغم أنف العدم. وبما أنّه قرّر ذلك، فقراره لا عودة فيه ولا مفرّ منه.

وهذا الوجود ليس هو حقّ، بل هبة. ومن خلاله أَكتشف أنّه إشارة إلى الرجاء. فبما أنّ اللّه قد خلق وفضَّل الوجود على العدم، فهناك أمل ورجاء في العالم. وهذا الإله، الذي أراد أن يخلق وأن يُوجِد شيئًا من لا شيء، هو يضمن استمرار هذا الشيء، ويضمن تتويج خليقته واستمراريَّة الخلق حتّى النهاية.

coptic-books.blogspot.com

ثقوا، استريحوا، لا تخافوا. فالخالق الذي أوجد هذا العالم هو يحمله بين يديه. ثقوا. يكفي أن يفتح الإنسان عينيه على هذا الوجود حتّى يستشفّ من خلاله نفحة من الرجاء.

سبحانك يا ربّ. أشكرك أيّها الخالق، أشكرك على نعمة الوجود، وجودي أنا، وأنتم والآخرين. ها أنا أضمن الخالق من خلال الخليقة التي أوجدها وأثق بها. فالوجود كلّه ينطق ويهتف بمجد اللّه.

ونجد أيضًا أوّل كلمة في الكتاب المقدّس: «في البدء خلق السماوات والأرض». لقد انفجر الخلق من العدم. ثمّ يقول: «وكانت الأرض خربة خالية وعلى الأرض ظلام وعلى الغمر...».

تعني عبارة «خربة وخالية» حالة فوضى رهيبة وعدم ترتيب وعدم نظافة. وهذا معنى كلمة «طوهو بوهو» في اللغة العبريَّة. ولذلك كلّ عمليَّة الخلق هي انتصار النظام على الفوضى الأولى التي كان العالم فيها. وتعبِّر اللغة اليونانيَّة عن ذلك بالكلمتَين «كاوس» التي تعني فوضى «وكوسموس» التي تعني نظام.

فما هي عمليَّة الخلق إلاَّ عبور، من «كاوس» إلى «كوسموس»، أي عبور من فوضى إلى نظام.

نرى يومًا بعد يوم انتصارات اللّه على هذا العدم تتحقَّق تدريجيًّا بعبارات تبدأ كلّها بكلمة «فليكن». وكان أوّل انتصارات اللّه هو انتصاره على الظلام بتلك العبارة «فليكن نور، وكان نور».

وبذلك أثبت النور أنّه أقوى من الظلام الذي كان يخيِّم على كلّ شيء، وأصبح أيضًا مصدر تفاؤل لنا، يذكِّرنا به شروق الشمس يوميًّا لنرى فيه تكرارًا وتجديدًا لذلك النور الذي انبثق في الكون، عند بداية الخلق، منتصرًا على الظلام.

«فليكن نور وكان نور».

coptic-books.blogspot.com

الرجاء يغزو الكون على مدى التاريخ

إنتصار الخير في النهاية

يوحي إلينا كلّ ما سبق بأنّ الخير في العالم هو أقوى من الشرّ. وهذه حقيقة يجب أن نؤمن بها، لأنّ الكلمة النهائيّة هي للخير، لا للشرّ. وإن أردنا أن نتعمَّق في هذه النظرة، لنفتح الصفحة الأولى من الكتاب المقدَّس، في خلق العالم، الذي هو في حدّ ذاته إقرار وإعلان أنَّ اللّه ينتصر تدريجيًّا على كلّ ما هو سلبيّ وكلّ ما هو مضادّ للخير.

تعرفون أنّه لم يكن هناك عالَم أو كون في البدء، وأنّ اللّه أوجده من لا شيء بكلمة. وهذا يعني أنّه كان من الممكن أن يستمرّ العدم للأبد، فلا يكون شيء إطلاقًا. لا نحن ولا العالم ولا الكون. ولكن، عندما أراد اللّه أن يخلق، اتَّخذ قرارًا بأنْ يكون الوجود رغم أنف العدم. وبما أنّه قرّر ذلك، فقراره لا عودة فيه ولا مفرّ منه.

وهذا الوجود ليس هو حقّ، بل هبة. ومن خلاله أَكتشف أنّه إشارة إلى الرجاء. فبما أنّ اللّه قد خلق وفضَّل الوجود على العدم، فهناك أمل ورجاء في العالم. وهذا الإله، الذي أراد أن يخلق وأن يُوجِد شيئًا من لا شيء، هو يضمن استمرار هذا الشيء، ويضمن تتويج خليقته واستمراريَّة الخلق حتّى النهاية.

coptic-books.blogspot.com

ثقوا، استريحوا، لا تخافوا. فالخالق الذي أوجد هذا العالم هو يحمله بين يديه. ثقوا. يكفي أن يفتح الإنسان عينيه على هذا الوجود حتّى يستشفّ من خلاله نفحة من الرجاء.

سبحانك يا ربّ. أشكرك أيّها الخالق، أشكرك على نعمة الوجود، وجودي أنا، وأنتم والآخرين. ها أنا أضمن الخالق من خلال الخليقة التي أوجدها وأثق بها. فالوجود كلّه ينطق ويهتف بمجد اللّه.

ونجد أيضًا أوّل كلمة في الكتاب المقدّس: «في البدء خلق السماوات والأرض». لقد انفجر الخلق من العدم. ثمّ يقول: «وكانت الأرض خربة خالية وعلى الأرض ظلام وعلى الغمر...».

تعني عبارة «خربة وخالية» حالة فوضى رهيبة وعدم ترتيب وعدم نظافة. وهذا معنى كلمة «طوهو بوهو» في اللغة العبريَّة. ولذلك كلّ عمليَّة الخلق هي انتصار النظام على الفوضى الأولى التي كان العالم فيها. وتعبِّر اللغة اليونانيَّة عن ذلك بالكلمتَين «كاوس» التي تعني فوضى «وكوسموس» التي تعني نظام.

فما هي عمليَّة الخلق إلاَّ عبور، من «كاوس» إلى «كوسموس»، أي عبور من فوضى إلى نظام.

نرى يومًا بعد يوم انتصارات اللّه على هذا العدم تتحقَّق تدريجيًّا بعبارات تبدأ كلّها بكلمة «فليكن». وكان أوّل انتصارات اللّه هو انتصاره على الظلام بتلك العبارة «فليكن نور، وكان نور».

وبذلك أثبت النور أنّه أقوى من الظلام الذي كان يخيِّم على كلّ شيء، وأصبح أيضًا مصدر تفاؤل لنا، يذكِّرنا به شروق الشمس يوميًّا لنرى فيه تكرارًا وتجديدًا لذلك النور الذي انبثق في الكون، عند بداية الخلق، منتصرًا على الظلام.

«فليكن نور وكان نور».

coptic-books.blogspot.com

ولذلك، إن شعر الإنسان بأنّه يمرّ بضيق أو ظلام أو يأس، كفاه أن يقول للّه: «يا ربّ أنر ظلمة كياني». والكلمة الخلاّقة التي ألقى بها اللّه في بداية العالم (ليكن نور)، يمكنه أن يكرّرها في عقل وذهن وروح كلّ إنسان يصرخ إليه: «يا ربّ أنر عقلي، أنر حياتي».

ثمّ فصل اللّه بين النور والظلام، أي أنّ الظلام ما زال يجانب النور. ولكن يوحنّا الحبيب، عندما كشف لنا آخر الأزمنة، فقال: «ولم يعد هناك ليل»، وهو تعبير مجازي ورمزي جميل جدًّا، أراد أن يقول من خلاله إنّ اللّه سيقضي نهائيًّا على الشرّ بقضائه على الظلام والليل، فينزل الليل وتستمرّ الشمس «٢٤» ساعة. ولذلك فإنّ أعظم كتاب للرجاء هو رؤيا يوحنّا المليئة برموز الرجاء. إن أردنا أن نتفهّمه، وجب علينا أن نعود إلى سفر التكوين لنتتبّع انتصار اللّه الذي تمّ على مراحل.

المرحلة الأولى

الخلق من العدم إلى الوجود

المرحلة الثانية

وجود النور والظلام معًا، وتلك هي المرحلة التي نعيش فيها، حيث يتصارع النور والظلام في قلب كلّ إنسان وقلب كلّ مجتمع وكلّ دولة.

المرحلة الثالثة

فقد انتصر اللّه فيها، ولم يعد هناك ليل، بل شمس ونور دائم، وهذا شيء رائع.

المرحلة الرابعة

وهي انتصار الأرض على المياه. كانت المياه في المفهوم العبريّ عنصر الشرّ في الكون. أمّا الأرض والصخر واليابسة والبرّ فهي عنصر الخير، لأنّها

coptic-books.blogspot.com

تعبِّر عن الأمان. يجب هنا أن ندخل في عقليَّة الكتاب المقدَّس والشعب العبريّ، وكان شعبًا بدويًّا يحبّ الأرض والرمل والصخر حيث الاستقرار والثبات. ففي نظر هذا الشعب، كلّ ما هو أرض وصخر هو خير، وعلى العكس كلّ ما هو مياه أو بحر فهو شرّ، لأنّه شيء غير ثابت وغير مضمون. ولذلك كان عبور البحر الأحمر على القدمين يدلّ على انتصار اللّه على المياه وتكرار الانتصار الذي تمّ في بداية الخلق، عندما أسّس اللّه الأرض على المياه. وهذا ما يدلّ على أنّ إله الخليقة هو إله الخلاص، وأنّ إله البداية هو إله الشعب. أمّا الشعب اليونانيّ الذي يعيش في جزر، فالبحر عنده صديق وعنصر مريح يعبرونه بالسفن. فإن لم نحاول أن نتفهّم الكتاب المقدَّس من خلال مفاهيمه التاريخيَّة والثقافيَّة والبيئيَّة، فلن نفهم شيئًا. لا يكفي أن نقرأ الكتاب المقدَّس لكي نفهمه، بل يجب أن نضع أنفسنا في الخليقة التاريخيَّة والجغرافيَّة والبيئيَّة والاجتماعيَّة لكي نفهم من خلالها معاني المياه والأرض والظلام والنور، ولا من خلال عقليَّة القرن العشرين، وإلاَّ نخطئ في فهمه ونفقد المعنى الأساسيّ.

ونتابع قصّة الخلق. فعندما فصل اللّه بين مياه ومياه، أمر بأن تبرز الأرض، وأسَّسها فوق المياه، وجعل للمياه حدودًا ـ لا تتعدّاها ـ كما ورد في المزامير وفي سفر أيّوب (٣٨ و٣٩ و٤٠). وكأنّ اللّه يخاطب المياه ويأمرها بأن لا تتعدَّى حدًّا معيَّنًا، لأنّ الأرض يجب أن تكون، والأرض هي مكان الأمان والاطمئنان والاستقرار، بعيدًا عن تهديد الأمواج التي تتدفَّق على الشواطئ. وربّما انتبهتم إلى ذلك في أيّام العواصف. فإذا جلست على الشاطئ، ترون الأمواج الضخمة الثائرة تتدافع لتستلقي على الأرض، مرتطمة بالصخور، وكأنّ البحر يريد أن يهاجم الأرض ويبتلعها ويغطِّيها. وفي أثناء ذلك، يستطيع الإنسان أن يقول: الحمد للّه، لأنَّ هناك صخورًا لتوقف زحف الأمواج إلى الأرض، ويشعر بأنّه في أمان على الأرض التي جعلت للمياه حدودًا لن تتعدّاها. ومن ذلك ينشأ الشعور بالاطمئنان والسلام الروحيّ لكوننا نحن على الأرض وعلى الصخر، وهذا هو معنى «الصخر» في الكتاب

coptic-books.blogspot.com

ولذلك، إن شعر الإنسان بأنّه يمرّ بضيق أو ظلام أو يأس، كفاه أن يقول للّه: «يا ربّ أنر ظلمة كياني». والكلمة الخلاّقة التي ألقى بها اللّه في بداية العالم (ليكن نور)، يمكنه أن يكرّرها في عقل وذهن وروح كلّ إنسان يصرخ إليه: «يا ربّ أنر عقلي، أنر حياتي».

ثمّ فصل اللّه بين النور والظلام، أي أنّ الظلام ما زال يجانب النور. ولكن يوحنّا الحبيب، عندما كشف لنا آخر الأزمنة، فقال: «ولم يعد هناك ليل»، وهو تعبير مجازي ورمزي جميل جدًّا، أراد أن يقول من خلاله إنّ اللّه سيقضي نهائيًّا على الشرّ بقضائه على الظلام والليل، فينزل الليل وتستمرّ الشمس «٢٤» ساعة. ولذلك فإنّ أعظم كتاب للرجاء هو رؤيا يوحنّا المليئة برموز الرجاء. إن أردنا أن نتفهّمه، وجب علينا أن نعود إلى سفر التكوين لنتتبّع انتصار اللّه الذي تمّ على مراحل.

المرحلة الأولى

الخلق من العدم إلى الوجود

المرحلة الثانية

وجود النور والظلام معًا، وتلك هي المرحلة التي نعيش فيها، حيث يتصارع النور والظلام في قلب كلّ إنسان وقلب كلّ مجتمع وكلّ دولة.

المرحلة الثالثة

فقد انتصر اللّه فيها، ولم يعد هناك ليل، بل شمس ونور دائم، وهذا شيء رائع.

المرحلة الرابعة

وهي انتصار الأرض على المياه. كانت المياه في المفهوم العبريّ عنصر الشرّ في الكون. أمّا الأرض والصخر واليابسة والبرّ فهي عنصر الخير، لأنّها

coptic-books.blogspot.com

تعبِّر عن الأمان. يجب هنا أن ندخل في عقليَّة الكتاب المقدَّس والشعب العبريّ، وكان شعبًا بدويًّا يحبّ الأرض والرمل والصخر حيث الاستقرار والثبات. ففي نظر هذا الشعب، كلّ ما هو أرض وصخر هو خير، وعلى العكس كلّ ما هو مياه أو بحر فهو شرّ، لأنّه شيء غير ثابت وغير مضمون. ولذلك كان عبور البحر الأحمر على القدمين يدلّ على انتصار اللّه على المياه وتكرار الانتصار الذي تمّ في بداية الخلق، عندما أسّس اللّه الأرض على المياه. وهذا ما يدلّ على أنّ إله الخليقة هو إله الخلاص، وأنّ إله البداية هو إله الشعب. أمّا الشعب اليونانيّ الذي يعيش في جزر، فالبحر عنده صديق وعنصر مريح يعبرونه بالسفن. فإن لم نحاول أن نتفهّم الكتاب المقدَّس من خلال مفاهيمه التاريخيَّة والثقافيَّة والبيئيَّة، فلن نفهم شيئًا. لا يكفي أن نقرأ الكتاب المقدَّس لكي نفهمه، بل يجب أن نضع أنفسنا في الخليقة التاريخيَّة والجغرافيَّة والبيئيَّة والاجتماعيَّة لكي نفهم من خلالها معاني المياه والأرض والظلام والنور، ولا من خلال عقليَّة القرن العشرين، وإلاَّ نخطئ في فهمه ونفقد المعنى الأساسيّ.

ونتابع قصّة الخلق. فعندما فصل اللّه بين مياه ومياه، أمر بأن تبرز الأرض، وأسَّسها فوق المياه، وجعل للمياه حدودًا ـ لا تتعدّاها ـ كما ورد في المزامير وفي سفر أيّوب (٣٨ و٣٩ و٤٠). وكأنّ اللّه يخاطب المياه ويأمرها بأن لا تتعدَّى حدًّا معيَّنًا، لأنّ الأرض يجب أن تكون، والأرض هي مكان الأمان والاطمئنان والاستقرار، بعيدًا عن تهديد الأمواج التي تتدفَّق على الشواطئ. وربّما انتبهتم إلى ذلك في أيّام العواصف. فإذا جلست على الشاطئ، ترون الأمواج الضخمة الثائرة تتدافع لتستلقي على الأرض، مرتطمة بالصخور، وكأنّ البحر يريد أن يهاجم الأرض ويبتلعها ويغطِّيها. وفي أثناء ذلك، يستطيع الإنسان أن يقول: الحمد للّه، لأنَّ هناك صخورًا لتوقف زحف الأمواج إلى الأرض، ويشعر بأنّه في أمان على الأرض التي جعلت للمياه حدودًا لن تتعدّاها. ومن ذلك ينشأ الشعور بالاطمئنان والسلام الروحيّ لكوننا نحن على الأرض وعلى الصخر، وهذا هو معنى «الصخر» في الكتاب

coptic-books.blogspot.com

المقدَّس: «اللّه صخرتي»، إذ إنَّ الصخر يرمز إلى الاطمئنان والثقة والأمل.

وبذلك يمكننا أن نستشفّ، من خلال هذه الحقائق الماديَّة، معاني روحيَّة، عندما نتأمّل الطبيعة التي حولنا من خلال الكتاب المقدَّس، فلا يُعدّ تأمّلنا مجرّد تأمُّل نظريّ عقلانيّ كهدف في حدّ ذاته، بل يعود بنا الكتاب المقدَّس إلى الحقائق الماديَّة المحيطة بنا في الطبيعة والمواقع لنلقي عليها نظرة جديدة، ولنكتشف من خلالها حياتنا وعالمنا بشكل جديد.

وأعود مرّة أخرى إلى رؤيا يوحنَّا حول مفهوم المياه والبحر حيث يقول: «ولم يعد هناك بحر». ومعنى ذلك أن القوى الشريرة تلاشت، ولم يعد لها وجود، كما قال: «لم يعد هناك ليل». وهذا ما يُفهم أيضًا في ضوء سفر التكوين.

وتتوالى بعد ذلك انتصارات الحياة:

«فلتكن حياة، فليكن نبات، فلتكن أشجار، فلتكن بقول، فلتكن حيوانات».

خُلق كلّ ذلك، لأنّ روح اللّه كان يرفّ على المياه. وعندما يرفّ اللّه بروحه فوق المياه أو فوق الأرض، يجعلها خصبة. فنجد أنّ تلك الأرض، التي كانت جرداء وعقيمة، تحمل في صخورها قدرات خفيّة تخرج منها، كما تحمل في صحاريها حياة.

وإذا شاهدنا فيلمًا عن الأسماك التي تعيش في قاع البحار، بأشكالها وألوانها، أو تجوَّلنا في متحف للأسماك، نكتشف غنى الخلق، وكلّ منها أجمل من الأخرى، وما نعرفه منها يُعتبر لا شيء بالنظر إلى ملايين الفصائل التي انقرضت منذ القدم.

من خلال ذلك، أكتشف أيضًا ذلك السخاء نفسه المنتشر بوفرة في الحياة والذي تحدّثتُ عنه من خلال الطاقة الشمسيَّة.

ما أجمل الحياة. لا أدري. فأنا أمام أيّ حياة، أمام أيّ كائن حيّ، أشعر

coptic-books.blogspot.com

بتعاطف وإحساس غريب. فالحياة، وأيّ حياة، تعبِّر في نظري عن اللّه مصدر كلّ حياة، وعن الذي قال عن نفسه: «أنا الحياة». ومن خلال كلّ تلك الابتكارات الإلهيَّة، أقول: «سبحانك يا ربّ،» لماذا خلقت هذا كلّه؟ خلقتُه من أجلك، أيّها الإنسان. فتكون دهشتي دائمًا مصدر رجاء.

وبناء على ذلك، ثقوا بأنّ اللّه لديه آلاف وآلاف من الطرق التي يحلّ بها أيّ مشكلة، لأنّ مَن خلق الكون كلّه ومَن في يديه السماوات والأرض لن يعجز أمام مشكلتك الصغيرة التي تعرضها عليه وتشكّ في قدرته على حلّها. وقد نتساءل أمام قوَّة تيّار الحياة المتدفّقة على الأرض منذ بدء الخليقة، ذلك التيّار الرهيب الذي غزا الأرض والبحار كلّها، عندما نجده يتضاءل ويختفي في داخل بذرة صغيرة تبدو ضعيفة، ولكن، إذا ما سقطت في شقّ صغير بين صخرتَين، أخذت تنمو وتتغلغل محطِّمةً بجذورها ما يقابلها من صخر بتلك القوّة نفسها، قوَّة تيّار الحياة الذي هو أقوى من الصخور والجبال.

وأمام ذلك أومن بالحياة، وخاصّةً بالحياة التي تبدو ظاهريًّا ضئيلة وضعيفة، فهي تحمل بداخلها آمال الأبديَّة. فهناك في الحياة «سرّ» قد لا تدركه، وهو أيضًا مصدر رجاء لنا.

وأخيرًا خلق اللّه الإنسان، إذ نفخ من روحه. وهذا ما لم يحدث عند خلق المخلوقات السابقة، حتّى كان روح الربّ يرفّ من بعيد على المياه، سواء أكان في خلق النبات أو في خلق الحيوانات. لمَّا أتى دور الإنسان، أخذ اللّه يقترب ويقترب تدريجيًّا، ونشعر وكأنّ فمه يكاد يلامس فم الإنسان لينفخ فيه من روحه هو. وهكذا تمّ خلق الإنسان بطريقة مختلفة تمامًا، إذ دمج اللّه روحه بروحنا، فانتصر الروح على المادّة.

يُعتبر الإنسان أضعف الحيوانات والكائنات، ولكنَّه، في الوقت نفسه، هو الذي يحمل ويشمل بداخله أمل الطبيعة كلّها ورجاءها، وهي تئنّ وتتمخّض إلى أن يتجلّى مجد أبناء اللّه. فهو يحمل أمل العالم كلّه، وأمل الكون كلّه، وأمل الحياة والخليقة كلّها، وهي تتطلَّع إلى الإنسان وكأنّها تقول

coptic-books.blogspot.com

المقدَّس: «اللّه صخرتي»، إذ إنَّ الصخر يرمز إلى الاطمئنان والثقة والأمل.

وبذلك يمكننا أن نستشفّ، من خلال هذه الحقائق الماديَّة، معاني روحيَّة، عندما نتأمّل الطبيعة التي حولنا من خلال الكتاب المقدَّس، فلا يُعدّ تأمّلنا مجرّد تأمُّل نظريّ عقلانيّ كهدف في حدّ ذاته، بل يعود بنا الكتاب المقدَّس إلى الحقائق الماديَّة المحيطة بنا في الطبيعة والمواقع لنلقي عليها نظرة جديدة، ولنكتشف من خلالها حياتنا وعالمنا بشكل جديد.

وأعود مرّة أخرى إلى رؤيا يوحنَّا حول مفهوم المياه والبحر حيث يقول: «ولم يعد هناك بحر». ومعنى ذلك أن القوى الشريرة تلاشت، ولم يعد لها وجود، كما قال: «لم يعد هناك ليل». وهذا ما يُفهم أيضًا في ضوء سفر التكوين.

وتتوالى بعد ذلك انتصارات الحياة:

«فلتكن حياة، فليكن نبات، فلتكن أشجار، فلتكن بقول، فلتكن حيوانات».

خُلق كلّ ذلك، لأنّ روح اللّه كان يرفّ على المياه. وعندما يرفّ اللّه بروحه فوق المياه أو فوق الأرض، يجعلها خصبة. فنجد أنّ تلك الأرض، التي كانت جرداء وعقيمة، تحمل في صخورها قدرات خفيّة تخرج منها، كما تحمل في صحاريها حياة.

وإذا شاهدنا فيلمًا عن الأسماك التي تعيش في قاع البحار، بأشكالها وألوانها، أو تجوَّلنا في متحف للأسماك، نكتشف غنى الخلق، وكلّ منها أجمل من الأخرى، وما نعرفه منها يُعتبر لا شيء بالنظر إلى ملايين الفصائل التي انقرضت منذ القدم.

من خلال ذلك، أكتشف أيضًا ذلك السخاء نفسه المنتشر بوفرة في الحياة والذي تحدّثتُ عنه من خلال الطاقة الشمسيَّة.

ما أجمل الحياة. لا أدري. فأنا أمام أيّ حياة، أمام أيّ كائن حيّ، أشعر

coptic-books.blogspot.com

بتعاطف وإحساس غريب. فالحياة، وأيّ حياة، تعبِّر في نظري عن اللّه مصدر كلّ حياة، وعن الذي قال عن نفسه: «أنا الحياة». ومن خلال كلّ تلك الابتكارات الإلهيَّة، أقول: «سبحانك يا ربّ،» لماذا خلقت هذا كلّه؟ خلقتُه من أجلك، أيّها الإنسان. فتكون دهشتي دائمًا مصدر رجاء.

وبناء على ذلك، ثقوا بأنّ اللّه لديه آلاف وآلاف من الطرق التي يحلّ بها أيّ مشكلة، لأنّ مَن خلق الكون كلّه ومَن في يديه السماوات والأرض لن يعجز أمام مشكلتك الصغيرة التي تعرضها عليه وتشكّ في قدرته على حلّها. وقد نتساءل أمام قوّة تيّار الحياة المتدفّقة على الأرض منذ بدء الخليقة، ذلك التيّار الرهيب الذي غزا الأرض والبحار كلّها، عندما نجده يتضاءل ويختفي في داخل بذرة صغيرة تبدو ضعيفة، ولكن، إذا ما سقطت في شقّ صغير بين صخرتَين، أخذت تنمو وتتغلغل محطِّمةً بجذورها ما يقابلها من صخر بتلك القوّة نفسها، قوّة تيّار الحياة الذي هو أقوى من الصخور والجبال.

وأمام ذلك أومن بالحياة، وخاصّةً بالحياة التي تبدو ظاهريًّا ضئيلة وضعيفة، فهي تحمل بداخلها آمال الأبديَّة. فهناك في الحياة «سرّ» قد لا تدركه، وهو أيضًا مصدر رجاء لنا.

وأخيرًا خلق اللّه الإنسان، إذ نفخ من روحه. وهذا ما لم يحدث عند خلق المخلوقات السابقة، حتّى كان روح الربّ يرفّ من بعيد على المياه، سواء أكان في خلق النبات أو في خلق الحيوانات. لمَّا أتى دور الإنسان، أخذ اللّه يقترب ويقترب تدريجيًّا، ونشعر وكأنّ فمه يكاد يلامس فم الإنسان لينفخ فيه من روحه هو. وهكذا تمّ خلق الإنسان بطريقة مختلفة تمامًا، إذ دمج اللّه روحه بروحنا، فانتصر الروح على المادّة.

يُعتبر الإنسان أضعف الحيوانات والكائنات، ولكنَّه، في الوقت نفسه، هو الذي يحمل ويشمل بداخله أمل الطبيعة كلّها ورجاءها، وهي تئنّ وتتمخّض إلى أن يتجلّى مجد أبناء اللّه. فهو يحمل أمل العالم كلّه، وأمل الكون كلّه، وأمل الحياة والخليقة كلّها، وهي تتطلّع إلى الإنسان وكأنّها تقول

coptic-books.blogspot.com

له: «حقِّق أمالي، أيّها الإنسان، يا مَن هو تاج الخليقة».

ولذلك فإنّ أملنا ليس هو أمل الإنسان فقط، بل هو أمل الكون والطبيعة كلّها. وبالتالي فإنّ يأس الإنسان هو يأس الطبيعة والخليقة كلّها، لأنّه يذهب بكلّ ما دونه من المخلوقات إلى مصيره.

وبذلك نشعر، من خلال قصّة الخلق الرائعة، بنوع من الغزو أو الفتح، قام به اللّه في العالم وانتصر به بكلمة منه على كلّ ما يقاوم قدرته. وهذا يعني أنّ كلمة اللّه قديرة على كلّ شيء، تلك الكلمة التي أسَّست الأرض وخلقت السماوات، وما زالت كما هي، حتّى اليوم وحتّى هذه اللحظة، كلمة قديرة على أن تفعل ما فعلته منذ البدء.

إلى أيّ مدى تكون لنا هذه الكلمة مصدر إيمان؟ «يا قليلي الإيمان»، نحن غير مؤمنين باللّه. فالإيمان يعني إيمانًا أعمى، وإن لم يكن أعمى، فهو ليس بإيمان. ينبغي أن نؤمن أنّ تلك القدرة الأزليَّة التي كانت منذ البدء هي هي، لم تتغيَّر حتَّى اليوم، وأن نؤمن أنّ هذه القدرة هي معنا وفينا. وهذا هو الإيمان، الذي هو مصدر الثقة ومصدر الأمل ومصدر الرجاء، ومن خلال التأمُّل في قصّة الخلق نكتشف قدرة اللّه الخالق الذي أخرج كلّ شيء من لا شيء... ولكن هل قدرته، منذ ذلك الوقت، ضعفت أو عجزت؟ كلاَّ. فاللّه هو هو بقدرته الخلاّقة التي أسّست الأرض ونشرت الحياة على وجهها وخلقت السماء ونثرت النجوم في الفضاء بالملايين، وهي حاضرة حتّى الآن... لا تخف، فإنّ ذراع الربّ ما زالت كما كانت. «يا قليلي الإيمان، لماذا شككتم؟ أين إيمانكم؟». نحن ننظر إلى اللّه بمعاييرنا، فجعلناه على قدر حجمنا، ولكن لا تخف، فاللّه هو كما كان، وهو الآن وهكذا يكون.

وعندما انتشر الشرّ في الأرض وحاول أن يَطْغى على الخير، أرسل اللّه الطوفان الذي استمرّ ٤٠ يومًا و٤٠ ليلة. وبعدَه ندم اللّه ولم يرد أن تكون المياه هي الظافرة، فلم يكرّره. وأرسل غصن زيتون رمزًا للسلام على الأرض، وأعطى نوحًا قوس قزح دلَّ أيضًا على حلول السلام، وكان بمثابة آية من عند

coptic-books.blogspot.com

اللّه للبشر، وإشارةً إلى عهد جديد أقامه اللّه بينه وبين البشر، بعد أن حاول الشرّ أن يغمر الأرض مرّة أخرى ويطغي عليها بعد النظام الذي تمّ في الخلق. ولكن اللّه انتصر على طوفان المياه، رمز الشرّ، مرّة أخرى، بعد ٤٠ يومًا و٤٠ ليلة.

وقد أراد اللّه، من خلال نوح، الذي هو رمز للمسيح، ومن خلال سفينة نوح، التي هي رمز للكنيسة، أراد أن يؤكّد أنّ الإنسانيّة لن تنقرض وأنّ هناك أملاً وخلاصًا واستمرارًا للجنس البشريّ بقوّة اللّه من خلال قوس القزح الذي يظهر عندما تسطع الشمس بعد الأمطار والعواصف والضباب، فيكون رمزًا لإشراق الأمل والرجاء. فثق بأنّ الشمس تشرق دائمًا بعد العاصفة والغيوم.

وفي ضوء قصّة الطوفان، التي انتصر اللّه فيها على المياه، نجد في هذا العصر طوفانًا من نوع جديد يحاول أن يُغرق العالم، طوفانًا من الأسلحة والحروب وطوفانًا من العنف والكراهية، وطوفانًا من العنصريّة والجوع... وطوفانًا من كلّ نوع. نتساءل أمامه إلى أين نحن ذاهبون.

واللّه يردّد دائمًا في الكتاب المقدّس: «لا تخافوا، لا تخافوا، أنا هو، أنا الذي خلقتكم، أنا الذي خلقت العالم... أنا الذي جعلته يستمرّ كلّ هذه الحقب والعصور. فأنا أضمن استمرار الحياة وانتصاري فيها الذي أُعلن في ذلك الانتصار التاريخيّ الحقيقيّ الذي حدث في ملء الزمان في يسوع المسيح، فكان مقدّمة ومؤشّرًا لانتصاري النهائيّ.

«ثقوا، فقد غلبت العالم»

وأخيرًا، في ملء الزمان، تجدّدت انتصارات الخالق وتكرّرت في شخص يسوع المسيح وبالترتيب نفسه. فالمسيح هو نور العالم، وفي شخصه «كانت الحياة والحياة هي نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يوحنّا ١/٤ و٥). فكما أنّ العهد القديم قد بدأ بانتصار اللّه على

coptic-books.blogspot.com

له: «حقِّق أمالي، أيّها الإنسان، يا مَن هو تاج الخليقة».

ولذلك فإنّ أملنا ليس هو أمل الإنسان فقط، بل هو أمل الكون والطبيعة كلّها. وبالتالي فإنّ يأس الإنسان هو يأس الطبيعة والخليقة كلّها، لأنّه يذهب بكلّ ما دونه من المخلوقات إلى مصيره.

وبذلك نشعر، من خلال قصّة الخلق الرائعة، بنوع من الغزو أو الفتح، قام به اللّه في العالم وانتصر به بكلمة منه على كلّ ما يقاوم قدرته. وهذا يعني أنّ كلمة اللّه قديرة على كلّ شيء، تلك الكلمة التي أسَّست الأرض وخلقت السماوات، وما زالت كما هي، حتّى اليوم وحتّى هذه اللحظة، كلمة قديرة على أن تفعل ما فعلته منذ البدء.

إلى أيّ مدى تكون لنا هذه الكلمة مصدر إيمان؟ «يا قليلي الإيمان»، نحن غير مؤمنين باللّه. فالإيمان يعني إيمانًا أعمى، وإن لم يكن أعمى، فهو ليس بإيمان. ينبغي أن نؤمن أنّ تلك القدرة الأزليَّة التي كانت منذ البدء هي هي، لم تتغيَّر حتَّى اليوم، وأن نؤمن أنّ هذه القدرة هي معنا وفينا. وهذا هو الإيمان، الذي هو مصدر الثقة ومصدر الأمل ومصدر الرجاء، ومن خلال التأمُّل في قصّة الخلق نكتشف قدرة اللّه الخالق الذي أخرج كلّ شيء من لا شيء... ولكن هل قدرته، منذ ذلك الوقت، ضعفت أو عجزت؟ كلاَّ. فاللّه هو هو بقدرته الخلاّقة التي أسّست الأرض ونشرت الحياة على وجهها وخلقت السماء ونثرت النجوم في الفضاء بالملايين، وهي حاضرة حتّى الآن... لا تخف، فإنّ ذراع الربّ ما زالت كما كانت. «يا قليلي الإيمان، لماذا شككتم؟ أين إيمانكم؟». نحن ننظر إلى اللّه بمعاييرنا، فجعلناه على قدر حجمنا، ولكن لا تخف، فاللّه هو كما كان، وهو الآن وهكذا يكون.

وعندما انتشر الشرّ في الأرض وحاول أن يَطْغى على الخير، أرسل اللّه الطوفان الذي استمرّ ٤٠ يومًا و٤٠ ليلة. وبعدَه ندم اللّه ولم يرد أن تكون المياه هي الظافرة، فلم يكرّره. وأرسل غصن زيتون رمزًا للسلام على الأرض، وأعطى نوحًا قوس قزح دلَّ أيضًا على حلول السلام، وكان بمثابة آية من عند

coptic-books.blogspot.com

اللّه للبشر، وإشارةً إلى عهد جديد أقامه اللّه بينه وبين البشر، بعد أن حاول الشرّ أن يغمر الأرض مرّة أخرى ويطغي عليها بعد النظام الذي تمّ في الخلق. ولكن اللّه انتصر على طوفان المياه، رمز الشرّ، مرّة أخرى، بعد ٤٠ يومًا و٤٠ ليلة.

وقد أراد اللّه، من خلال نوح، الذي هو رمز للمسيح، ومن خلال سفينة نوح، التي هي رمز للكنيسة، أراد أن يؤكِّد أنّ الإنسانيَّة لن تنقرض وأنّ هناك أملاً وخلاصًا واستمرارًا للجنس البشريّ بقوَّة اللّه من خلال قوس القزح الذي يظهر عندما تسطع الشمس بعد الأمطار والعواصف والضباب، فيكون رمزًا لإشراق الأمل والرجاء. فثق بأنّ الشمس تشرق دائمًا بعد العاصفة والغيوم.

وفي ضوء قصّة الطوفان، التي انتصر اللّه فيها على المياه، نجد في هذا العصر طوفانًا من نوع جديد يحاول أن يُغرق العالم، طوفانًا من الأسلحة والحروب وطوفانًا من العنف والكراهية، وطوفانًا من العنصريَّة والجوع... وطوفانًا من كلّ نوع. نتساءل أمامه إلى أين نحن ذاهبون.

واللّه يردِّد دائمًا في الكتاب المقدَّس: «لا تخافوا، لا تخافوا، أنا هو، أنا الذي خلقتكم، أنا الذي خلقت العالم... أنا الذي جعلته يستمرّ كلّ هذه الحقب والعصور. فأنا أضمن استمرار الحياة وانتصاري فيها الذي أُعلن في ذلك الانتصار التاريخيّ الحقيقيّ الذي حدث في ملء الزمان في يسوع المسيح، فكان مقدّمة ومؤشِّرًا لانتصاري النهائيّ.

«ثقوا، فقد غلبت العالم»

وأخيرًا، في ملء الزمان، تجدَّدت انتصارات الخالق وتكرّرت في شخص يسوع المسيح وبالترتيب نفسه. فالمسيح هو نور العالم، وفي شخصه «كانت الحياة والحياة هي نور الناس، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يوحنّا ١/٤ و٥). فكما أنّ العهد القديم قد بدأ بانتصار اللّه على

coptic-books.blogspot.com

الظلام بانفجار النور، كذلك يبدأ إنجيل يوحنّا في العهد الجديد بالفكرة نفسها، أي بانتصار النور الحقيقيّ، وهو المسيح، على الظلام، أي ظلام الشرّ والخطيئة. وتأكيدًا لذلك، نجد عبارة يوحنّا: «والظلمة لم تدركه».... أي أنّ نور المسيح أقوى من ظلمات الشرّ. فالنور الأوّل المادّيّ في سفر التكوين ما هو إلاّ رمز يشير إلى النور الحقيقيّ الذي هو المسيح، والظلام الحقيقيّ هو الخطيئة، والانتصار الحقيقيّ هو الخلاص.

ثمّ نجد في سفر التكوين انتصار اللّه على البحر كرمز للشرّ، حين أسَّس الأرض على قواعدها. وتتكرّر الفكرة نفسها في الإنجيل بمعجزة سير المسيح على المياه. وقد نتصوَّر أنّ سيره على البحر كان شعوذة أو حركة سحريَّة تثير الدهشة والإعجاب، ولكن ينبغي أن نفهم معنى السير على البحر كرمز للشرّ، وهو أنّ المسيح يدوس الشرّ بقدميه، وأنّه ما من شيء يُعجزه. وحين سار المسيح على البحر، لم يُجرِ معجزة فقط، تمكَّن فيها أن يقوم بحركة غريبة وفائقة الطبيعة، بل كأنّه عاد فأكّد من خلالها أنّه ربّ العالم وربّ الكون وربّ الشرّ. «ثقوا، فقد غلبت العالم».

وقد أثبت بهذه المعجزة أنّ المياه ليست تحت قدميه فقط، بل تحت أقدام مَن يؤمن به أيضًا. «ليفعل الأفعال التي فعلتها، بل وأعظم منها»، إذ إنّ المقدرة نفسها التي في المسيح أُعطيت للتلاميذ. وهذا ما حدث عندما طلب إليه بطرس: «إسمح لي أن أجيء إليك». فقال له: «تعال». فنزل بطرس من القارب وسار على البحر بمنتهى الإيمان والبساطة والسذاجة، ولكنّه، أثناء سيره، بدأ يغرق. وهذا ما يحدث كثيرًا فينا عندما نشكّ ونتساءل كيف لا يبتلعنا البحر. وعندما يأخذ رجاؤنا في الضعف، بدل أن يكون إيماننا في المسيح، ننظر إلى أنفسنا، فنغرق في اليأس والإحباط وفي مياه هذا العالم التي تهدِّدنا فعلاً.

أتذكّر أيّام كنت أتدرّب فيها على ركوب الدرّاجة في سنّ الخامسة عشرة. فكلّما نظرت أمامي ورأيت «ظلطة» صغيرة على طريقي، كنت أحاول

coptic-books.blogspot.com

تجنّبها، ولكنّي كنت أصطدم بها لأنّي كنت أُركِّز نظري عليها. وعندما نصحوني بأن أنظر إلى الأمام بعيدًا إلى الأفق، كنت أسير على ما يرام، ولكنّي كلّما شعرت بالخوف، سقطت بالدرّاجة. وهذا ما حدث عند بطرس ويحدث عندنا دائمًا، فنسقط كلّما نظرنا إلى أنفسنا.

لقد رأينا كيف انتصر المسيح على الظلام لأنّه نور، ورأينا أيضًا كيف أنّه انتصر على البحر، عندما وطئه بقدميه. ولكن كلّ ذلك يرمز ويشير إلى انتصاره النهائيّ الحقيقيّ على قوى الشرّ وعلى الموت في نهاية حياته، من خلال قيامته المجيدة... «المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور».

ذلك الانتصار النهائيّ يكلِّل كلّ ما سبق في الكتاب المقدَّس والإنجيل ويؤكِّده، لأنّه حقَّق بقيامته ما قد سبق على شكل رموز وتعابير. لذلك صرَّح، عند اقتراب ساعته، بأنّ رئيس هذا العالم - أي الشيطان - سيُطرح خارجًا، وبأنّه قد رأى الشيطان ساقطًا كالبرق من السماء، كما أنّه أعلن، قبل أن يقدم على الموت ببضع ساعات، مجتازًا مسيرة الاعتقال والآلام، من المحاكمة والضرب والجلد والإهانة إلى الصلب،[٥] إبّان تلك الهزيمة الكبرى: «ثقوا، فقد غلبت العالم» (يوحنّا ١٦/٣٣).

وهكذا فإنّ قوّة المسيح كلّها أُعطِيَت لنا. وهذا ما نردِّده في صلاة الشكر في القدَّاس: «أعطيتنا السلطان أن نطأ الحيّات والعقارب وكلّ قوّة العدوّ...»، وما نقرأه في مرقس ١٦/١٧ وما يليها: «والذين يؤمنون تساندهم هذه الآيات: يطردون الشياطين باسمي ويتكلّمون بلغات غريبة، ويمسكون بأيديهم الحيّات والعقارب، وإن شربوا السمّ لا يصيبهم أذى، ويضعون أيديهم على المرضى فيشفونهم.

وهذا يعني أنّ مَن يؤمن بالمسيح، لديه المقدرة على قهر قوّة العدوّ، بالقوّة الانتصاريّة نفسها التي كانت في المسيح على الشرّ. وهذه القوّة هي في المسيحيّ، لأنّه من المسيح ولأنّ المسيح فيه بقوّته.

ولذلك، عندما نصلّي يوميًّا صلاة الشكر، ينبغي أن ننتبه إلى عبارات

coptic-books.blogspot.com

الظلام بانفجار النور، كذلك يبدأ إنجيل يوحنّا في العهد الجديد بالفكرة نفسها، أي بانتصار النور الحقيقيّ، وهو المسيح، على الظلام، أي ظلام الشرّ والخطيئة. وتأكيدًا لذلك، نجد عبارة يوحنّا: «والظلمة لم تدركه».... أي أنّ نور المسيح أقوى من ظلمات الشرّ. فالنور الأوّل المادّيّ في سفر التكوين ما هو إلاّ رمز يشير إلى النور الحقيقيّ الذي هو المسيح، والظلام الحقيقيّ هو الخطيئة، والانتصار الحقيقيّ هو الخلاص.

ثمّ نجد في سفر التكوين انتصار اللّه على البحر كرمز للشرّ، حين أسّس الأرض على قواعدها. وتتكرّر الفكرة نفسها في الإنجيل بمعجزة سير المسيح على المياه. وقد نتصوَّر أنّ سيره على البحر كان شعوذة أو حركة سحريَّة تثير الدهشة والإعجاب، ولكن ينبغي أن نفهم معنى السير على البحر كرمز للشرّ، وهو أنّ المسيح يدوس الشرّ بقدميه، وأنّه ما من شيء يُعجزه. وحين سار المسيح على البحر، لم يُجرِ معجزة فقط، تمكّن فيها أن يقوم بحركة غريبة وفائقة الطبيعة، بل كأنّه عاد فأكّد من خلالها أنّه ربّ العالم وربّ الكون وربّ الشرّ. «ثقوا، فقد غلبت العالم».

وقد أثبت بهذه المعجزة أنّ المياه ليست تحت قدميه فقط، بل تحت أقدام مَن يؤمن به أيضًا. «ليفعل الأفعال التي فعلتها، بل وأعظم منها»، إذ إنّ المقدرة نفسها التي في المسيح أُعطيت للتلاميذ. وهذا ما حدث عندما طلب إليه بطرس: «إسمح لي أن أجيء إليك». فقال له: «تعال». فنزل بطرس من القارب وسار على البحر بمنتهى الإيمان والبساطة والسذاجة، ولكنّه، أثناء سيره، بدأ يغرق. وهذا ما يحدث كثيرًا فينا عندما نشكّ ونتساءل كيف لا يبتلعنا البحر. وعندما يأخذ رجاؤنا في الضعف، بدل أن يكون إيماننا في المسيح، ننظر إلى أنفسنا، فنغرق في اليأس والإحباط وفي مياه هذا العالم التي تهدِّدنا فعلاً.

أتذكّر أيّام كنت أتدرّب فيها على ركوب الدرّاجة في سنّ الخامسة عشرة. فكلّما نظرت أمامي ورأيت «ظلطة» صغيرة على طريقي، كنت أحاول

coptic-books.blogspot.com

تجنّبها، ولكنّي كنت أصطدم بها لأنّي كنت أُركِّز نظري عليها. وعندما نصحوني بأن أنظر إلى الأمام بعيدًا إلى الأفق، كنت أسير على ما يرام، ولكنّي كلّما شعرت بالخوف، سقطت بالدرّاجة. وهذا ما حدث عند بطرس ويحدث عندنا دائمًا، فنسقط كلّما نظرنا إلى أنفسنا.

لقد رأينا كيف انتصر المسيح على الظلام لأنّه نور، ورأينا أيضًا كيف أنّه انتصر على البحر، عندما وطئه بقدميه. ولكن كلّ ذلك يرمز ويشير إلى انتصاره النهائيّ الحقيقيّ على قوى الشرّ وعلى الموت في نهاية حياته، من خلال قيامته المجيدة... «المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور».

ذلك الانتصار النهائيّ يكلِّل كلّ ما سبق في الكتاب المقدَّس والإنجيل ويؤكِّده، لأنّه حقَّق بقيامته ما قد سبق على شكل رموز وتعابير. لذلك صرَّح، عند اقتراب ساعته، بأنّ رئيس هذا العالم - أي الشيطان - سيُطرح خارجًا، وبأنّه قد رأى الشيطان ساقطًا كالبرق من السماء، كما أنّه أعلن، قبل أن يقدم على الموت ببضع ساعات، مجتازًا مسيرة الاعتقال والآلام، من المحاكمة والضرب والجلد والإهانة إلى الصلب،[٥] إبَّان تلك الهزيمة الكبرى: «ثقوا، فقد غلبت العالم» (يوحنّا ١٦/٣٣).

وهكذا فإنّ قوَّة المسيح كلّها أُعطِيَت لنا. وهذا ما نردِّده في صلاة الشكر في القدَّاس: «أعطيتنا السلطان أن نطأ الحيّات والعقارب وكلّ قوَّة العدوّ...»، وما نقرأه في مرقس ١٦/١٧ وما يليها: «والذين يؤمنون تساندهم هذه الآيات: يطردون الشياطين باسمي ويتكلّمون بلغات غريبة، ويمسكون بأيديهم الحيّات والعقارب، وإن شربوا السمّ لا يصيبهم أذى، ويضعون أيديهم على المرضى فيشفونهم.

وهذا يعني أنّ مَن يؤمن بالمسيح، لديه المقدرة على قهر قوَّة العدوّ، بالقوّة الانتصاريّة نفسها التي كانت في المسيح على الشرّ. وهذه القوّة هي في المسيحيّ، لأنّه من المسيح ولأنّ المسيح فيه بقوَّته.

ولذلك، عندما نصلِّي يوميًّا صلاة الشكر، ينبغي أن ننتبه إلى عبارات

coptic-books.blogspot.com

«لأنَّك أنتَ أعطيت السلطة على أَن ندوس الحيَّات والعقارب وكلّ قوَّة العدوّ، ولا تُدخلنا في تجربة، لكن نجّنا من الشرّير، بالمسيح يسوع ربّنا».

فليس الانتصار بقوَّتي أنا، بل «بالمسيح يسوع ربّنا». فأقول الآن أمام هذه الحقيقة: لماذا أخاف؟ ومن أيّ شيء أخاف؟ فأنا لست وحدي، بل أستطيع كلّ شيء بالمسيح الذي يقوِّيني».

ونجد أيضًا مزمورًا في الثقة بالربّ أثناء الأزمة والمحنة، وهو المزمور ٩٠، ويمكننا أن نردِّده عندما نشعر بأنّ هناك قوَّة تهدِّدنا، أو عندما نشعر بنوع من اليأس أو الخوف أو الإحباط. هذا المزمور هو صرخة ثقة موجَّهة إلى اللّه الذي يقف بجوار الإنسان ويحميه. فيا حبَّذا لو تعلّمنا هذا المزمور وحفظناه لنردِّده، كلّما شعرنا بالاحتياج إلى قوَّة.

coptic-books.blogspot.com

صلاة

لقد وضعت فينا نور رجائك الذي هو قوّة وانطلاق
وجعلت حولنا عديدًا من الآيات التي تدلّ على أنّ هناك قدرة فائقة تحملنا وتحصرنا
لقد وضعت في الطبيعة من حولنا عديدًا من العلامات والإشارات والآيات
التي من خلالها نستطيع أن نشعر باندفاع إلى الأمام.
نصلّي من أجل كلّ مَن يشعر بيأس في حياته
يشعر بإحباط، بشكّ، بارتياب.
قوّنا، يا ربّ، في رجائك.
قوّنا في الثقة بك
واجعلنا نشعر بعنايتك الإلهيّة في كلّ لحظة من لحظات حياتنا.

آمين

coptic-books.blogspot.com

«لأنَّك أنتَ أعطيت السلطة على أَن ندوس الحيَّات والعقارب وكلّ قوَّة العدوّ، ولا تُدخلنا في تجربة، لكن نجّنا من الشرّير، بالمسيح يسوع ربّنا».

فليس الانتصار بقوَّتي أنا، بل «بالمسيح يسوع ربّنا». فأقول الآن أمام هذه الحقيقة: لماذا أخاف؟ ومن أيّ شيء أخاف؟ فأنا لست وحدي، بل أستطيع كلّ شيء بالمسيح الذي يقوِّيني».

ونجد أيضًا مزمورًا في الثقة بالربّ أثناء الأزمة والمحنة، وهو المزمور ٩٠، ويمكننا أن نردِّده عندما نشعر بأنّ هناك قوَّة تهدِّدنا، أو عندما نشعر بنوع من اليأس أو الخوف أو الإحباط. هذا المزمور هو صرخة ثقة موجَّهة إلى اللّه الذي يقف بجوار الإنسان ويحميه. فيا حبَّذا لو تعلّمنا هذا المزمور وحفظناه لنردِّده، كلّما شعرنا بالاحتياج إلى قوَّة.

coptic-books.blogspot.com

صلاة

لقد وضعت فينا نور رجائك الذي هو قوّة وانطلاق

وجعلت حولنا عديدًا من الآيات التي تدلّ على أنّ هناك قدرة فائقة تحملنا وتحصرنا

لقد وضعت في الطبيعة من حولنا عديدًا من العلامات والإشارات والآيات

التي من خلالها نستطيع أن نشعر باندفاع إلى الأمام.

نصلّي من أجل كلّ مَن يشعر بيأس في حياته

يشعر بإحباط، بشكّ، بارتياب.

قوّنا، يا ربّ، في رجائك.

قوّنا في الثقة بك

واجعلنا نشعر بعنايتك الإلهيَّة في كلّ لحظة من لحظات حياتنا.

آمين

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

الأمل والرجاء في الإنسان

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

الأمل والرجاء في الإنسان

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

«من الأعماق صرخت إليك، يا ربّ»

عندما تكون الصلاة صرخة رجاء

لنتأمّل في واقعة وردت في دانيال النبيّ (الفصل ١٣)، وهي قصّة سوسنة العفيفة البريئة، زوجة يواقيم، أحد وجهاء اليهود، والتي وقعت في مأزق خطير عاقبته فضيحة كبرى تنال من سمعتها والحكم عليها بالرجم، مع أنّها بريئة.

وذلك أنّ اليهود كانوا يأتون إلى بيت زوجها ويحتكمون إلى شيخَين مكلَّفَين بالقضاء في دعاوى أفراد الشعب، وقد رأى كلّ منهما جمال سوسنة ووقع في إغراء فتنتها وأراد بها الشرّ. فكان كلّ منهما يأتي خلسةً إلى منزل زوجها، ليترقّبها لينال منها، ولم يقل أيّ منهما للآخر عمّا في قلبه. وذات يوم تقابلا في الحديقة واعترف كلّ منهما برغبته واتّفقا على تنفيذها.

وكانت سوسنة في الحديقة تريد أن تغتسل فأرسلت جاريتها لإحضار ما يلزمها، وأمرتها بإغلاق أبواب الحديقة. ولمّا ذهبت الجاريتان، خرج الشيخان وفاجآ المرأة وطلبا منها الشرّ وهدّداها بالافتراء عليها أنّهما رأياها مع شابّ، فيُحكم عليها بالرجم فتخسر حياتها وسمعتها. ولكنّها رفضت واستغاثت، فأسرع الشيخان بفتح أبواب الحديقة وصرخا وافتريا أنّهما رأياها مع شابّ قام بالهرب عند الصراخ، ووجّها إلى المرأة تهمة الزنى وطالبا برجمها.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

«من الأعماق صرخت إليك، يا ربّ»

عندما تكون الصلاة صرخة رجاء

لنتأمّل في واقعة وردت في دانيال النبيّ (الفصل ١٣)، وهي قصّة سوسنة العفيفة البريئة، زوجة يواقيم، أحد وجهاء اليهود، والتي وقعت في مأزق خطير عاقبته فضيحة كبرى تنال من سمعتها والحكم عليها بالرجم، مع أنّها بريئة.

وذلك أنّ اليهود كانوا يأتون إلى بيت زوجها ويحتكمون إلى شيخَين مكلَّفَين بالقضاء في دعاوى أفراد الشعب، وقد رأى كلّ منهما جمال سوسنة ووقع في إغراء فتنتها وأراد بها الشرّ. فكان كلّ منهما يأتي خلسةً إلى منزل زوجها، ليترقّبها لينال منها، ولم يقل أيّ منهما للآخر عمّا في قلبه. وذات يوم تقابلا في الحديقة واعترف كلّ منهما برغبته واتّفقا على تنفيذها.

وكانت سوسنة في الحديقة تريد أن تغتسل فأرسلت جاريتها لإحضار ما يلزمها، وأمرتها بإغلاق أبواب الحديقة. ولمّا ذهبت الجاريتان، خرج الشيخان وفاجآ المرأة وطلبا منها الشرّ وهدّداها بالافتراء عليها أنّهما رأياها مع شابّ، فيُحكم عليها بالرجم فتخسر حياتها وسمعتها. ولكنّها رفضت واستغاثت، فأسرع الشيخان بفتح أبواب الحديقة وصرخا وافتريا أنّهما رأياها مع شابّ قام بالهرب عند الصراخ، ووجّها إلى المرأة تهمة الزنى وطالبا برجمها.

coptic-books.blogspot.com

وها هم قضاة اليهود يفترون ويتّهمون ويشهدون زورًا على هذه المرأة البريئة وهي في مأزق عظيم، علمًا بأنّ اليهود لا يقبلون شهادة المرأة ولا يصدِّقونها، مهما ادَّعت البراءة، ولا تكذِّب شهادة الشيخَين وهما قاضيا الشعب ولهما في سنّهما ومنصبهما كلّ عوامل المصداقيّة.

وبقي شاهد وحيد يعلم براءتها وهو اللّه العليّ القدير، فاحص القلوب والكلى. وإليه لجأت سوسنة في محنتها والتمست النجاة. لقد كان واضحًا أنّه لا أمل من قبل البشر، فكلّ الظروف ضدّها، ولا تستطيع الجماعة اليهوديَّة إلاَّ تنفيذ حكم الرجم عليها، لأنّ التهمة ثابتة بشهادة شاهدَين، وذلك وفقًا للمفهوم البشريّ والمنطق الإنسانيّ. ولكن اللّه كان لديه تدبير آخر.

فقد أقام اللّه دانيال النبيّ، فأعلن أمام الشعب براءة المرأة، بعد أن كانت في الطريق إلى تنفيذ الحكم عليها. طلب دانيال إعادة المحاكمة وأخذ يستجوب كلاًّ من الشيخَين، بعد أن أبعدهما الواحد عن الآخر، وسأل كلاًّ منهما أمام الشعب: تحت أيّ شجرة وقعت الحادثة؟ فتضاربت أقوالهما ووضح الافتراء وانكشفت شهادة الزور وظهرت براءة سوسنة.

وهذا يوضح لنا أنّ تلك الصلاة التي استغاثت بها لم تكن عقيمة وأنّ صرختها إلى الربّ سُمِعت.

وهكذا، فقد نمرّ نحن أيضًا بمواقف وأزمات تبدو بلا حلّ، ونجد أنفسنا في مأزق يُعدّ، من الناحية البشريَّة، طريقًا مسدودًا لا أمل للخروج منه. والكثير منّا، إن لم يكن جميعنا، اختبر مثل هذا الموقف.

يظلّ الإنسان يتخبّط في مشكلته، محاولاً إيجاد حلّ لها بنور عقله ومهارة تفكيره، ولكنّه لا يتوصَّل إلى أيّ حلّ ينقذه. فما دام يحاول بعلمه وبإمكانيَّاته البشريَّة، فإنّه لا يجد أيّ مخرج، ويظلّ في الطريق المسدود، فاقدًا كلّ أمل بشريّ. وفي هذا الوقت الذي تعجز فيه الإمكانيَّات البشريَّة، يتدخّل اللّه ويباشر عمله، بعد أن توقّفت ساعة الإنسان عن كلّ عمل.

coptic-books.blogspot.com

وهذا هو مفهوم قضيَّة الإيمان، الذي يقوم على التمسّك باللّه والاستسلام له، حين تعجز قوانا ويعجز كلّ من حولنا وتفشل كلّ إمكانيّات البشريَّة في إيجاد مخرج يُنقذنا من طريقنا المسدود ويقدِّم الحلّ لمشكلتنا التي لا حلّ لها بشريًّا. في هذه اللحظة، يلجأ الإنسان إلى اللّه ويستغيث بصرخة الإيمان وبنداء الرجاء، لأنّ اللّه أقوى من الظروف ومن يأس الأحداث ومن كلّ تدبير الإنسان وتفكيره وإمكانيَّات البشريَّة. فللّهِ الكلمة الأخيرة والنهائيَّة في كلّ موقف حرج وطريق مسدود. إنّه الإيمان بأنّ الأرض وملأها هي للربّ خالقها ومدبّرها، وهو يفيض عليها بيمينه وحكمته، ويدير حلقات تاريخها مع الإنسان وخلف الإنسان وعبر الإنسان، ولكن لا بدون الإنسان... وهكذا، حين قرّر اللّه إنقاذ سوسنة، وتدخّلت عنايته فأقام دانيال النبيّ لتنفيذ رحمته، أقام إنسانًا ليعمل هو بواسطته.

ولا يقوم الإيمان باللّه وبمعجزاته على أنّه سيرسل ملاكًا من السماء لحلّ الأزمة، ولكنّه إيمان بأنّ عنده ألف وسيلة لتنفيذ ما يريده.

إنّه مدير الكون وصانع التاريخ، يدير دفّة العالم بواسطة الإنسان. ولذلك فالصلاة هي وضع اليد على دفّة العالم، من خلال دالّة الإنسان على قلب اللّه، أي تحريك مَن يقوى على الحركة، وذلك حين أعجز ولا أقوى على شيء وحين تضيق من حولي الحلقات، ويصبح الفرج مستحيلاً، فأصرخ: يا ربّ، أنت سيِّد التاريخ ومحرِّك الأحداث، أنت القادر على كلّ شيء. أمّا أنا فعاجز ويائس ومسكين.

ولقد فتحت أمامنا القدِّيسة تريزا الطفل يسوع طريقًا علَّمتنا به كيف نصل إلى الإيمان والرجاء في روح الطفولة، وهي تشعر فيها بأنّ كلّ شيء مستطاع عند اللّه، لأنّها كانت تؤمن بأنّه يحبّها حبًّا يجعلها تثق بالتأثير في قلبه. فكانت تقول: إنّ اللّه قدير حقًّا، وإيماني أيضًا قدير به. وأنا على ثقة بأنّي أقوى على كلّ شيء لقدرتي على قلب اللّه بالصلاة والاستغاثة به. ولكن المسألة تقوم على أن أعيش فعلاً هذه الثقة وذلك الرجاء، فيصبح هذا اليقين

coptic-books.blogspot.com

وها هم قضاة اليهود يفترون ويتّهمون ويشهدون زورًا على هذه المرأة البريئة وهي في مأزق عظيم، علمًا بأنّ اليهود لا يقبلون شهادة المرأة ولا يصدِّقونها، مهما ادَّعت البراءة، ولا تكذِّب شهادة الشيخَين وهما قاضيا الشعب ولهما في سنّهما ومنصبهما كلّ عوامل المصداقيّة.

وبقي شاهد وحيد يعلم براءتها وهو اللّه العليّ القدير، فاحص القلوب والكلى. وإليه لجأت سوسنة في محنتها والتمست النجاة. لقد كان واضحًا أنّه لا أمل من قبل البشر، فكلّ الظروف ضدّها، ولا تستطيع الجماعة اليهوديَّة إلاَّ تنفيذ حكم الرجم عليها، لأنّ التهمة ثابتة بشهادة شاهدَين، وذلك وفقًا للمفهوم البشريّ والمنطق الإنسانيّ. ولكن اللّه كان لديه تدبير آخر.

فقد أقام اللّه دانيال النبيّ، فأعلن أمام الشعب براءة المرأة، بعد أن كانت في الطريق إلى تنفيذ الحكم عليها. طلب دانيال إعادة المحاكمة وأخذ يستجوب كلاًّ من الشيخَين، بعد أن أبعدهما الواحد عن الآخر، وسأل كلاًّ منهما أمام الشعب: تحت أيّ شجرة وقعت الحادثة؟ فتضاربت أقوالهما ووضح الافتراء وانكشفت شهادة الزور وظهرت براءة سوسنة.

وهذا يوضح لنا أنّ تلك الصلاة التي استغاثت بها لم تكن عقيمة وأنّ صرختها إلى الربّ سُمِعت.

وهكذا، فقد نمرّ نحن أيضًا بمواقف وأزمات تبدو بلا حلّ، ونجد أنفسنا في مأزق يُعدّ، من الناحية البشريَّة، طريقًا مسدودًا لا أمل للخروج منه. والكثير منّا، إن لم يكن جميعنا، اختبر مثل هذا الموقف.

يظلّ الإنسان يتخبّط في مشكلته، محاولاً إيجاد حلّ لها بنور عقله ومهارة تفكيره، ولكنّه لا يتوصَّل إلى أيّ حلّ ينقذه. فما دام يحاول بعلمه وبإمكانيَّاته البشريَّة، فإنّه لا يجد أيّ مخرج، ويظلّ في الطريق المسدود، فاقدًا كلّ أمل بشريّ. وفي هذا الوقت الذي تعجز فيه الإمكانيَّات البشريَّة، يتدخّل اللّه ويباشر عمله، بعد أن توقّفت ساعة الإنسان عن كلّ عمل.

coptic-books.blogspot.com

وهذا هو مفهوم قضيَّة الإيمان، الذي يقوم على التمسّك باللّه والاستسلام له، حين تعجز قوانا ويعجز كلّ من حولنا وتفشل كلّ إمكانيّات البشريَّة في إيجاد مخرج يُنقذنا من طريقنا المسدود ويقدِّم الحلّ لمشكلتنا التي لا حلّ لها بشريًّا. في هذه اللحظة، يلجأ الإنسان إلى اللّه ويستغيث بصرخة الإيمان وبنداء الرجاء، لأنّ اللّه أقوى من الظروف ومن يأس الأحداث ومن كلّ تدبير الإنسان وتفكيره وإمكانيَّات البشريَّة. فللّهِ الكلمة الأخيرة والنهائيَّة في كلّ موقف حرج وطريق مسدود. إنّه الإيمان بأنّ الأرض وملأها هي للربّ خالقها ومدبّرها، وهو يفيض عليها بيمينه وحكمته، ويدير حلقات تاريخها مع الإنسان وخلف الإنسان وعبر الإنسان، ولكن لا بدون الإنسان... وهكذا، حين قرّر اللّه إنقاذ سوسنة، وتدخّلت عنايته فأقام دانيال النبيّ لتنفيذ رحمته، أقام إنسانًا ليعمل هو بواسطته.

ولا يقوم الإيمان باللّه وبمعجزاته على أنّه سيرسل ملاكًا من السماء لحلّ الأزمة، ولكنّه إيمان بأنّ عنده ألف وسيلة لتنفيذ ما يريده.

إنّه مدير الكون وصانع التاريخ، يدير دفّة العالم بواسطة الإنسان. ولذلك فالصلاة هي وضع اليد على دفّة العالم، من خلال دالّة الإنسان على قلب اللّه، أي تحريك مَن يقوى على الحركة، وذلك حين أعجز ولا أقوى على شيء وحين تضيق من حولي الحلقات، ويصبح الفرج مستحيلاً، فأصرخ: يا ربّ، أنت سيِّد التاريخ ومحرِّك الأحداث، أنت القادر على كلّ شيء. أمّا أنا فعاجز ويائس ومسكين.

ولقد فتحت أمامنا القدِّيسة تريزا الطفل يسوع طريقًا علَّمتنا به كيف نصل إلى الإيمان والرجاء في روح الطفولة، وهي تشعر فيها بأنّ كلّ شيء مستطاع عند اللّه، لأنّها كانت تؤمن بأنّه يحبّها حبًّا يجعلها تثق بالتأثير في قلبه. فكانت تقول: إنّ اللّه قدير حقًّا، وإيماني أيضًا قدير به. وأنا على ثقة بأنّي أقوى على كلّ شيء لقدرتي على قلب اللّه بالصلاة والاستغاثة به. ولكن المسألة تقوم على أن أعيش فعلاً هذه الثقة وذلك الرجاء، فيصبح هذا اليقين

coptic-books.blogspot.com

حيًّا في حياتي، يجري في كياني ببراءة الطفل وسذاجته، وبعدم إدراكه أيضًا. وحينئذ تحدث المعجزة دون أن أدري كيف تحدث. وعدم درايتي هذه تجعل الساعة ساعة اللّه وتدبيره، إذ لو كانت لي الدراية، لظلَّ الأمر في الإطار البشريّ.

وأذكر هنا قول بولس الرسول في ٢ قور ٤/٨: «يُضيَّق علينا من كلّ جهة ولا نحطَّم، نقع في المأزق ولا نعجز»، أي أنّي أفرح رغم كوني في مأزق ولا منقذ لي، فالطريق مسدود. وكيف يتمّ هذا؟ يحدث هذا لأنّ هناك فتحة علويّة عبر الجدران والسدود ومنها ننجو ونخرج. هذا هو سرّ اللّه، وما نسمِّيه إيمان الأطفال الذي يصعب على عالمنا المعاصر غير المؤمن بمعجزات اللّه، بل بمعجزات العلماء الذين يصلون إلى القمر والمرّيخ... ومع ذلك فإنّ اللّه موجود ويعمل، وهو هنا ومعنا.

«إنّي أدعوك يا ربّ، فاستمع لي»
«إنّي أتضرَّع إليك، فانصت إليَّ»
«إنّي أصرخ إليك، فاستجب لي»

اللّه قريب وهو يسمعني حين أدعوه، وليست صلاتي صرخة في بطن واد، أو نداءً في صحراء، بل اللّه يسمع كلّ همس أدعوه به. وبهذا الإيمان لا تكون صلاتنا مجرَّد صرخة ألم وأنين، بل نداء ثقة ويقين، صادر بهدوء واطمئنان.

أيّها الربّ يسوع، لقد حرتُ في الطريق. إنّه طريق مسدود، وليس فيه أيّ أمل، فعليك أنت أن تعمل. وهذا ما نسمِّيه فضيلة الرجاء.

قد يكون عندي أمل في العلوم وفي الطبّ وفي مساعدة البشر، ولكن يأتي وقت يتلاشى فيه كلّ أمل ويخيِّم اليأس، وهو أصعب ما يمكن أن يقاسيه الإنسان في حياته، حين يشعر بأنّه محاط بلَيل مظلم ومُخيف وأزمة لا يجد لها حلاًّ أو مخرجًا. فيُصاب بانهيار ويأس.

coptic-books.blogspot.com

وهنا يظهر شعاع الرجاء وذلك الشعاع الذي قال فيه بيغي (Péguy) إنّه لا يمكن إطفاؤه. فهو يخترق ظلام اليأس. إنّه ضوء إلهيّ وشعلة الرجاء الصغيرة التي هي أقوى من ليل اليأس والتي تنبثق من بطن الليل اليائس، كما انبثق نور القيامة المجيدة من بطن أحجار القبر. هذا هو الرجاء الإلهيّ.

لنتساءل الآن: هل نحن نعيش على الرجاء أم نحن نحيا الأمل؟ هل نحن في المستوى الإلهيّ أم إنّنا في المستوى البشريّ؟

لقد تعلّمنا في طفولتنا، في دروس التعليم المسيحيّ، أنّ الرجاء فضيلة إلهيَّة. وكنّا وما زلنا نكرِّر هذا التعبير دون أن ندرك معناه، لأنَّه يُعتبر لفظًا يستعمله اللاهوتيّون. ولكنَّه فضيلة إلهيَّة، بمعنى أنّها ليست في مستوى الإنسان ولا يمكن إدراكها أو شرحها في الإطار البشريّ، لأنّها في الإطار الإلهيّ.

فالرجاء فضيلة مسيحيَّة إلهيَّة تسمو على الإمكانيَّات البشريَّة، ولها في اللّه علَّتها وموضوعها ومعناها وفاعليّتها.

آه! لو أصبح هذا المفهوم جزءًا من حياتنا اليوميَّة، نحيا ونتقوَّى به، لانقلبت أيّامنا إلى عيد دائم كلّه تعزية. نعم، تصبح حياتي عيدًا دائمًا لأنّي لست وحدي ولن أكون وحيدًا، لأنّ اللّه معي، يسندني ويحلّ مشاكلي ومصيري وأوجاعي. وحين نسمع في القدَّاس الكاهن يقول: «الربّ مع جميعكم»، ينبغي أن نفهم أنّ هذا التعبير ليس تعبيرًا مجازيًّا، بل حقيقة، لأنّنا، عندما نترك الكنيسة في نهاية القدّاس، لا نسير بمفردنا، ولا نعود وحدنا، لأنّ اللّه، صانع العالم والتاريخ، هو ملازم لنا ويسير معنا ويرافقنا في كلّ لحظة. فيا لها من تعزية وفرحة! وماذا نريد أكثر من هذا؟

إعتدنا أن نعيش في بلادنا أسلوب «الواسطة»، لتحقيق مصالحنا. فنثق بهذا الوزير أو ذاك المدير ليتدخَّل في مشكلتنا. ولكن أين هي ثقتنا باللّه، سيِّد التاريخ، الذي غلب العالم، صانع الأحداث والقابض على مصير كلّ إنسان؟ إنّنا ننساه ونتجاهله، مع أنّه مدبِّر الأمور وقائد الأحداث والمسيطر على المصير.

coptic-books.blogspot.com

حيًّا في حياتي، يجري في كياني ببراءة الطفل وسذاجته، وبعدم إدراكه أيضًا. وحينئذ تحدث المعجزة دون أن أدري كيف تحدث. وعدم درايتي هذه تجعل الساعة ساعة اللّه وتدبيره، إذ لو كانت لي الدراية، لظلَّ الأمر في الإطار البشريّ.

وأذكر هنا قول بولس الرسول في ٢ قور ٤/٨: «يُضيَّق علينا من كلّ جهة ولا نحطَّم، نقع في المأزق ولا نعجز»، أي أنّي أفرح رغم كوني في مأزق ولا منقذ لي، فالطريق مسدود. وكيف يتمّ هذا؟ يحدث هذا لأنّ هناك فتحة علويّة عبر الجدران والسدود ومنها ننجو ونخرج. هذا هو سرّ اللّه، وما نسمِّيه إيمان الأطفال الذي يصعب على عالمنا المعاصر غير المؤمن بمعجزات اللّه، بل بمعجزات العلماء الذين يصلون إلى القمر والمرّيخ... ومع ذلك فإنّ اللّه موجود ويعمل، وهو هنا ومعنا.

«إنّي أدعوك يا ربّ، فاستمع لي»
«إنّي أتضرَّع إليك، فانصت إليَّ»
«إنّي أصرخ إليك، فاستجب لي»

اللّه قريب وهو يسمعني حين أدعوه، وليست صلاتي صرخة في بطن واد، أو نداءً في صحراء، بل اللّه يسمع كلّ همس أدعوه به. وبهذا الإيمان لا تكون صلاتنا مجرَّد صرخة ألم وأنين، بل نداء ثقة ويقين، صادر بهدوء واطمئنان.

أيّها الربّ يسوع، لقد حرتُ في الطريق. إنّه طريق مسدود، وليس فيه أيّ أمل، فعليك أنت أن تعمل. وهذا ما نسمِّيه فضيلة الرجاء.

قد يكون عندي أمل في العلوم وفي الطبّ وفي مساعدة البشر، ولكن يأتي وقت يتلاشى فيه كلّ أمل ويخيِّم اليأس، وهو أصعب ما يمكن أن يقاسيه الإنسان في حياته، حين يشعر بأنّه محاط بلَيل مظلم ومُخيف وأزمة لا يجد لها حلاًّ أو مخرجًا. فيُصاب بانهيار ويأس.

coptic-books.blogspot.com

وهنا يظهر شعاع الرجاء وذلك الشعاع الذي قال فيه بيغي (Péguy) إنّه لا يمكن إطفاؤه. فهو يخترق ظلام اليأس. إنّه ضوء إلهيّ وشعلة الرجاء الصغيرة التي هي أقوى من ليل اليأس والتي تنبثق من بطن الليل اليائس، كما انبثق نور القيامة المجيدة من بطن أحجار القبر. هذا هو الرجاء الإلهيّ.

لنتساءل الآن: هل نحن نعيش على الرجاء أم نحن نحيا الأمل؟ هل نحن في المستوى الإلهيّ أم إنّنا في المستوى البشريّ؟

لقد تعلّمنا في طفولتنا، في دروس التعليم المسيحيّ، أنّ الرجاء فضيلة إلهيّة. وكنّا وما زلنا نكرّر هذا التعبير دون أن ندرك معناه، لأنّه يُعتبر لفظًا يستعمله اللاهوتيّون. ولكنّه فضيلة إلهيّة، بمعنى أنّها ليست في مستوى الإنسان ولا يمكن إدراكها أو شرحها في الإطار البشريّ، لأنّها في الإطار الإلهيّ.

فالرجاء فضيلة مسيحيّة إلهيّة تسمو على الإمكانيّات البشريّة، ولها في اللّه علّتها وموضوعها ومعناها وفاعليّتها.

آه! لو أصبح هذا المفهوم جزءًا من حياتنا اليوميّة، نحيا ونتقوّى به، لانقلبت أيّامنا إلى عيد دائم كلّه تعزية. نعم، تصبح حياتي عيدًا دائمًا لأنّي لست وحدي ولن أكون وحيدًا، لأنّ اللّه معي، يسندني ويحلّ مشاكلي ومصيري وأوجاعي. وحين نسمع في القدّاس الكاهن يقول: «الربّ مع جميعكم»، ينبغي أن نفهم أنّ هذا التعبير ليس تعبيرًا مجازيًّا، بل حقيقة، لأنّنا، عندما نترك الكنيسة في نهاية القدّاس، لا نسير بمفردنا، ولا نعود وحدنا، لأنّ اللّه، صانع العالم والتاريخ، هو ملازم لنا ويسير معنا ويرافقنا في كلّ لحظة. فيا لها من تعزية وفرحة! وماذا نريد أكثر من هذا؟

إعتدنا أن نعيش في بلادنا أسلوب «الواسطة»، لتحقيق مصالحنا. فنثق بهذا الوزير أو ذاك المدير ليتدخّل في مشكلتنا. ولكن أين هي ثقتنا باللّه، سيّد التاريخ، الذي غلب العالم، صانع الأحداث والقابض على مصير كلّ إنسان؟ إنّنا ننساه ونتجاهله، مع أنّه مدبّر الأمور وقائد الأحداث والمسيطر على المصير.

coptic-books.blogspot.com

نقرأ في المزمور الثاني: «لماذا ارتجّت الأمم وتمتمت الشعوب بالباطل؟ قام ملوك الأرض، والعظماء ائتمروا على الربّ وعلى مسيحه. لنقطع ربطها ونلقِ عنّا نيرهما. الساكن في السموات يضحك والسيِّد يستهزئُ بهم. حينئذ يكلِّمهم بسخطه وبغضبه يروعهم. إنّي مسحتُ ملكي على صهيون، جبل قدسي، لأخبرنّ بحكم الربّ. قال لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك. سَلني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصي الأرض ملكًا لك. ترعاهم بعصًا من حديد وكإناء خزّاف تحطِّمهم»...

إنّ ولاة العالم، الذين يقودون الأحداث، لا يصنعون التاريخ وحدهم، أو يدبِّرون سير الأمور، بل وراءهم مَن هو أعظم وأقوى منهم، أي اللّه مدبِّر الكون والمهيمن عليه. قد يخشى بعضهم الدخول في أيّ مشروع، ويتردَّد في القيام بمسيرة، فيقول: لا أعلم ما سيحدث. فهل يمكن الدخول في مشروع زراعيّ ضخم؟ هل يمكن الاستمرار في مشروع تعليميّ بكلّ ما فيه من صعوبات؟ هل أتطوَّع في مشروع رعاية مرضى الجذام؟ وما هي النتائج المتوقَّعة؟ هل يمكن هذا؟ وهل ننجح؟ وهل...؟ هذا هو الشعور البشريّ بالحذر. ولكنَّ هناك جنونًا واندفاعًا عند الذين يؤمنون بإمكانيَّة تحقيق ما نراه مستحيلاً، لأنّ اللّه معنا ويعمل فينا وبنا، وعنده ما من شيء غير مستطاع. وكما رأينا أنّ الرجاء هو ينبوع السلام، نرى الآن أنّه مصدر للجنون أيضًا.

رجاء رغم الخطيئة

ولنتأمّل أيضًا حادثة أُخرى دوَّنها الوحي، وهي قصّة المرأة الزانية (يوحنّا ٨/١ - ١١). نجد أنّها زانية فعلاً ومذنبة، في حين كانت سوسنة بريئة ومتّهَمة ظلمًا. كانت هذه الزانية في مأزق خطير، أصعب من مأزق سوسنة البريئة، إذ كانت الشكوى عليها حقيقة واقعة لأنّها أُخذت فعلاً في زنى. فهي مذنبة أمام نفسها وأمام الناس وأمام اللّه، ولا سلاح لها تدافع به عن نفسها، وكان الرجم نصيبها، لأنّ التهمة ثابتة والحادثة مؤكَّدة والشريعة واضحة والحكم بالرجم لا مفرَّ منه.

coptic-books.blogspot.com

فقدت هذه المرأة الزانية كلّ أمل بشريّ، وهي مقتنعة بذنبها وتعرف مصيرها، فلا تنطق بكلمة ولا تلتمس رحمة، ولا تحاول نفي الاتّهام عنها، وهي مستسلمة حانية الرأس، تنتظر الحجر الأوّل الذي به يبدأ الحكم برجمها.

ورغم كلّ هذا، كانت بلا شكّ تشعر في داخلها ببعض الارتياح والطمأنينة الغامضة، لأنّها أمام المسيح المعلّم الرحيم؛ ولا شكّ أيضًا أنّها شعرت في أعماقها بالأسف والندم على سقطتها، والتمست المغفرة من ربّها الذي وحده كان يرى ما يجري في باطن قلبها.

لمست هذه الخاطئة شعورًا غريبًا يملأ قلبها بأنّ شيئًا ما سيحدث لصالحها. إنّها مذنبة أمام اللّه، وها هي تقف من شخص المسيح الإنسان، وهو غير سائر الناس، ولا شكّ أنّ حكمه عليها يخالف كلّ أحكام البشر ويسمو على كلّ حكم قضائيّ دينيّ في مسائل السلوك والأخلاق، لأنّ اللّه له ملء الحرّيّة في ذاته، كما يقول يوحنّا في رسالته الأولى (٣/٢٠): «إن كان قلبنا يبكّتنا، فإنّ اللّه أعظم من قلبنا، وهو عالِم بكلّ شيء».

فإذا كان اللّه أعظم من خطيئة الخاطئ، فهذا مصدر رجاء عظيم. لا شكّ أنّ المأزق الذي لا مفرّ منه والطريق المسدود والعبوديّة لمادّة رديئة لا يُقوى على التخلّص منها. هي حالة الخاطئ الذي ينهشه الندم والشعور بالذنب، فيفقد كلّ أمل في النجاة. ومثل هذا الخاطئ قد ييأس من نفسه، لأنّ خطيئة ما قد تسلّطت عليه ولا يستطيع التغلّب عليها، وقد يتوقّف عن الاعتراف بها في سرّ التوبة أو يتوقّف عن الاعتراف بها نهائيًّا لأنّه سئم الأمر وامتلأ بالخجل. وكلّما حاول التوبة، وجد نفسه أكثر سقوطًا في الخطيئة. وقد تساوره تجربة توحي إليه بقطع كلّ صلة باللّه، لأنّه لم يعد مستحقًّا أن يكون له ابنًا، ويفضّل عدم الصلاة أو الذهاب إلى الكنيسة.

هذا هو منطق الإنسان، فإن كان الأمل البشريّ قد اختفى، فإنّ الرجاء المسيحيّ باقٍ، ولكن، يا أيّها الابن العزيز والطفل الصغير أمام اللّه، إن كان قلبك يحكم عليك ويبكّتك، فكن واثقًا، «بأنّ قلب اللّه هو أعظم من قلبك».

coptic-books.blogspot.com

نقرأ في المزمور الثاني: «لماذا ارتجّت الأمم وتمتمت الشعوب بالباطل؟ قام ملوك الأرض، والعظماء ائتمروا على الربّ وعلى مسيحه. لنقطع ربطها ونلقِ عنّا نيرهما. الساكن في السموات يضحك والسيّد يستهزئ بهم. حينئذ يكلّمهم بسخطه وبغضبه يروعهم. إنّي مسحتُ ملكي على صهيون، جبل قدسي، لأخبرنّ بحكم الربّ. قال لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك. سَلني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصي الأرض ملكًا لك. ترعاهم بعصًا من حديد وكإناء خزّاف تحطّمهم»...

إنّ ولاة العالم، الذين يقودون الأحداث، لا يصنعون التاريخ وحدهم، أو يدبّرون سير الأمور، بل وراءهم مَن هو أعظم وأقوى منهم، أي اللّه مدبّر الكون والمهيمن عليه. قد يخشى بعضهم الدخول في أيّ مشروع، ويتردّد في القيام بمسيرة، فيقول: لا أعلم ما سيحدث. فهل يمكن الدخول في مشروع زراعيّ ضخم؟ هل يمكن الاستمرار في مشروع تعليميّ بكلّ ما فيه من صعوبات؟ هل أتطوّع في مشروع رعاية مرضى الجذام؟ وما هي النتائج المتوقّعة؟ هل يمكن هذا؟ وهل ننجح؟ وهل...؟ هذا هو الشعور البشريّ بالحذر. ولكنّ هناك جنونًا واندفاعًا عند الذين يؤمنون بإمكانيّة تحقيق ما نراه مستحيلاً، لأنّ اللّه معنا ويعمل فينا وبنا، وعنده ما من شيء غير مستطاع. وكما رأينا أنّ الرجاء هو ينبوع السلام، نرى الآن أنّه مصدر للجنون أيضًا.

رجاء رغم الخطيئة

ولنتأمّل أيضًا حادثة أُخرى دوّنها الوحي، وهي قصّة المرأة الزانية (يوحنّا ٨/١ - ١١). نجد أنّها زانية فعلاً ومذنبة، في حين كانت سوسنة بريئة ومتّهَمة ظلمًا. كانت هذه الزانية في مأزق خطير، أصعب من مأزق سوسنة البريئة، إذ كانت الشكوى عليها حقيقة واقعة لأنّها أُخذت فعلاً في زنى. فهي مذنبة أمام نفسها وأمام الناس وأمام اللّه، ولا سلاح لها تدافع به عن نفسها، وكان الرجم نصيبها، لأنّ التهمة ثابتة والحادثة مؤكّدة والشريعة واضحة والحكم بالرجم لا مفرّ منه.

coptic-books.blogspot.com

فقدت هذه المرأة الزانية كلّ أمل بشريّ، وهي مقتنعة بذنبها وتعرف مصيرها، فلا تنطق بكلمة ولا تلتمس رحمة، ولا تحاول نفي الاتّهام عنها، وهي مستسلمة حانية الرأس، تنتظر الحجر الأوّل الذي به يبدأ الحكم برجمها.

ورغم كلّ هذا، كانت بلا شكّ تشعر في داخلها ببعض الارتياح والطمأنينة الغامضة، لأنّها أمام المسيح المعلّم الرحيم؛ ولا شكّ أيضًا أنّها شعرت في أعماقها بالأسف والندم على سقطتها، والتمست المغفرة من ربّها الذي وحده كان يرى ما يجري في باطن قلبها.

لمست هذه الخاطئة شعورًا غريبًا يملأ قلبها بأنّ شيئًا ما سيحدث لصالحها. إنّها مذنبة أمام اللّه، وها هي تقف من شخص المسيح الإنسان، وهو غير سائر الناس، ولا شكّ أنّ حكمه عليها يخالف كلّ أحكام البشر ويسمو على كلّ حكم قضائيّ دينيّ في مسائل السلوك والأخلاق، لأنّ اللّه له ملء الحرّيّة في ذاته، كما يقول يوحنّا في رسالته الأولى (٣/٢٠): «إن كان قلبنا يبكّتنا، فإنّ اللّه أعظم من قلبنا، وهو عالِم بكلّ شيء».

فإذا كان اللّه أعظم من خطيئة الخاطئ، فهذا مصدر رجاء عظيم. لا شكّ أنّ المأزق الذي لا مفرّ منه والطريق المسدود والعبوديّة لمادّة رديئة لا يُقوى على التخلّص منها. هي حالة الخاطئ الذي ينهشه الندم والشعور بالذنب، فيفقد كلّ أمل في النجاة. ومثل هذا الخاطئ قد ييأس من نفسه، لأنّ خطيئة ما قد تسلّطت عليه ولا يستطيع التغلّب عليها، وقد يتوقّف عن الاعتراف بها في سرّ التوبة أو يتوقّف عن الاعتراف بها نهائيًّا لأنّه سئم الأمر وامتلأ بالخجل. وكلّما حاول التوبة، وجد نفسه أكثر سقوطًا في الخطيئة. وقد تساوره تجربة توحي إليه بقطع كلّ صلة باللّه، لأنّه لم يعد مستحقًّا أن يكون له ابنًا، ويفضّل عدم الصلاة أو الذهاب إلى الكنيسة.

هذا هو منطق الإنسان، فإن كان الأمل البشريّ قد اختفى، فإنّ الرجاء المسيحيّ باقٍ، ولكن، يا أيّها الابن العزيز والطفل الصغير أمام اللّه، إن كان قلبك يحكم عليك ويبكّتك، فكن واثقًا، «بأنّ قلب اللّه هو أعظم من قلبك».

coptic-books.blogspot.com

فإذا كنت ساقطًا أمام نفسك وأمام الناس، وقد ألقيت بنفسك على الأرض، مستسلمًا لليأس، فإنّ المسيح يمسك بيدك ويرفعك قائلاً: قم، أنا لا أحكم عليك. لا، إنّي لن أدينك بحسب خطيئتك، ولا أحكم عليك، لأنّ رحمتي ومحبّتي أعظم من آثامك: «لم آتِ لأدين العالم، بل لأخلِّص العالم» (يو ١٢/٤٧).

فلا تيأس! لا تيأس أبدًا، لأنّ سرّ المسيح وسرّ الوحي يؤكِّدان لك حقائق الإيمان والرجاء والتعزية، وهي أنّه قد تمّ الفداء والتكفير عن كلّ خطايانا، وأنّ الإنسان العتيق الذي دُفن في المعموديَّة قد أصبح إنسانًا جديدًا وأنّ دم المسيح قد خلقنا ثانيةً للنعمة، وأنّ الخلاص قد تمّ بالذي حمل آثامنا كلّها وسمَّر على الصليب دينونتنا وقضاء خطايانا.

قال السيِّد المسيح: «إنّ الآب قد سلّم الحكم كلّه للابن، وإنّه لم يأت ليدين العالم بل ليخلِّصه». وهل معنى ذلك أنّه لا وجود للدينونة ولن يكون قضاء؟ كلاَّ، فلا بدَّ من الدينونة، ولكن رحمة المسيح وحبّه أقوى من كلّ دينونة وأشدّ من كلّ قضاء. وفي هذا الصدد، يقول آباء الكنيسة اليونانيَّة: إنّ يسوع المسيح حقَّق بالفداء القضاء على كلّ قضاء وقام بدينونة كلّ دينونة. وهذا يعني أنّني حقًّا وشرعًا ومن باب العدالة مدين وخاطئ وتحت حكم القضاء والدينونة. لكن المسيح يقول لي: أنا أعظم وأسمى من الخطيئة، وأَنا أقوى من كلّ دينونة، وأنا بالمحبَّة والرحمة ديّان لكلّ دينونة.

وبناء على هذا المفهوم، يقوم الرجاء على المسيح وعلى محبّته ورحمته. فلا وجود لمشاكل بلا حلّ عند المسيح. ولا وجود لمأزق بلا مخرج في محبَّة المسيح. ولا وجود لخطيئة بلا غفران عند حنان المسيح. ولا وجود لطريق مسدود أمام رحمة المسيح.

coptic-books.blogspot.com

منطق الرجاء

عندما يتلاشى الأمل، يبدأ الرجاء

من السهل على أيّ إنسان أن يعيش الأمل والتفاؤل، ما دامت الأمور تسير بطريقة طبيعيَّة وعلى ما يرام. ولكن أيّ فضل له؟ وفي ذلك أستطيع أن أقول، كما قال المسيح: «هل الوثنيّون لا يفعلون ذلك». أمّا عندما تتعثَّر الأمور، ويخيِّم الليل بظلامه الدامس حولي، وعندما أكون في مأزق لا أجد له مخرجًا، فهنا يكون الرجاء الحقيقيّ. وقد تبدو كلمتَي الأمل والرجاء كلمتَين مترادفتَين. وهنا أريد أن أُميِّز بين كلمة (espoir) وكلمة (espérance)، فأربط كلمة أمل بكلمة (espoir) وكلمة رجاء بكلمة (espérance). فما الفرق بين الأمل والرجاء؟

فالأمل فهو نزعة بشريَّة وفضيلة بشريَّة، مبنيَّة على أسباب ومؤشِّرات ودواع تمهِّد لكلّ مشكلة معيَّنة. وبالتالي فهي تخلق في الإنسان شعورًا بالطمأنينة والارتياح، وهذا الأمل هو على مستوى بشريّ.

أمّا الرجاء فهو يبدأ عندما يختفي الأمل، وهو مبنيّ على إيمان بحت بقدرة اللّه فحسب، أي أنّ اللّه هو مصدره، ولذلك فالرجاء هو على مستوى إلهي.

coptic-books.blogspot.com

فإذا كنت ساقطًا أمام نفسك وأمام الناس، وقد ألقيت بنفسك على الأرض، مستسلمًا لليأس، فإنّ المسيح يمسك بيدك ويرفعك قائلاً: قم، أنا لا أحكم عليك. لا، إنّي لن أدينك بحسب خطيئتك، ولا أحكم عليك، لأنّ رحمتي ومحبّتي أعظم من آثامك: «لم آتِ لأدين العالم، بل لأخلِّص العالم» (يو ١٢/٤٧).

فلا تيأس! لا تيأس أبدًا، لأنّ سرّ المسيح وسرّ الوحي يؤكِّدان لك حقائق الإيمان والرجاء والتعزية، وهي أنّه قد تمّ الفداء والتكفير عن كلّ خطايانا، وأنّ الإنسان العتيق الذي دُفن في المعموديَّة قد أصبح إنسانًا جديدًا وأنّ دم المسيح قد خلقنا ثانيةً للنعمة، وأنّ الخلاص قد تمّ بالذي حمل آثامنا كلّها وسمَّر على الصليب دينونتنا وقضاء خطايانا.

قال السيِّد المسيح: «إنّ الآب قد سلّم الحكم كلّه للابن، وإنّه لم يأت ليدين العالم بل ليخلِّصه». وهل معنى ذلك أنّه لا وجود للدينونة ولن يكون قضاء؟ كلاَّ، فلا بدَّ من الدينونة، ولكن رحمة المسيح وحبّه أقوى من كلّ دينونة وأشدّ من كلّ قضاء. وفي هذا الصدد، يقول آباء الكنيسة اليونانيَّة: إنّ يسوع المسيح حقَّق بالفداء القضاء على كلّ قضاء وقام بدينونة كلّ دينونة. وهذا يعني أنّني حقًّا وشرعًا ومن باب العدالة مدين وخاطئ وتحت حكم القضاء والدينونة. لكن المسيح يقول لي: أنا أعظم وأسمى من الخطيئة، وأَنا أقوى من كلّ دينونة، وأنا بالمحبَّة والرحمة ديّان لكلّ دينونة.

وبناء على هذا المفهوم، يقوم الرجاء على المسيح وعلى محبّته ورحمته. فلا وجود لمشاكل بلا حلّ عند المسيح. ولا وجود لمأزق بلا مخرج في محبَّة المسيح. ولا وجود لخطيئة بلا غفران عند حنان المسيح. ولا وجود لطريق مسدود أمام رحمة المسيح.

coptic-books.blogspot.com

منطق الرجاء

عندما يتلاشى الأمل، يبدأ الرجاء

من السهل على أيّ إنسان أن يعيش الأمل والتفاؤل، ما دامت الأمور تسير بطريقة طبيعيَّة وعلى ما يرام. ولكن أيّ فضل له؟ وفي ذلك أستطيع أن أقول، كما قال المسيح: «هل الوثنيّون لا يفعلون ذلك». أمّا عندما تتعثَّر الأمور، ويخيِّم الليل بظلامه الدامس حولي، وعندما أكون في مأزق لا أجد له مخرجًا، فهنا يكون الرجاء الحقيقيّ. وقد تبدو كلمتَي الأمل والرجاء كلمتَين مترادفتَين. وهنا أريد أن أُميِّز بين كلمة (espoir) وكلمة (espérance)، فأربط كلمة أمل بكلمة (espoir) وكلمة رجاء بكلمة (espérance). فما الفرق بين الأمل والرجاء؟

فالأمل فهو نزعة بشريَّة وفضيلة بشريَّة، مبنيَّة على أسباب ومؤشِّرات ودواع تمهِّد لكلّ مشكلة معيَّنة. وبالتالي فهي تخلق في الإنسان شعورًا بالطمأنينة والارتياح، وهذا الأمل هو على مستوى بشريّ.

أمّا الرجاء فهو يبدأ عندما يختفي الأمل، وهو مبنيّ على إيمان بحت بقدرة اللّه فحسب، أي أنّ اللّه هو مصدره، ولذلك فالرجاء هو على مستوى إلهي.

coptic-books.blogspot.com

الرجاء رهان على المستحيل

يقتضي الرجاء أن يؤمن الإنسان بالمعجزة. فالمعجزات حقيقة، أي تحقّق المستحيل. وعندما أقول: مستحيل، أعني أنّ اللّه يحلّ محلّ الإنسان وأنّ حدودي أنا كإنسان قد انتهت إلى هنا. وعندئذٍ يبدأ مجال اللّه، لأنّ اللّه هو ربّ المستحيل. فحياة الإنسان المسيحيّ مبنيَّة على قدرة اللّه، لا على قدرة الإنسان. ولذلك فهي مجازفة ورهان على شيء اسمه «المستحيل».

حين شعرتُ بالدعوة الرهبانيَّة في سنّ التاسعة عشرة، اعترض بعضهم قائلين: وهل أنت تضمن الغد والمستقبل؟ فقلت: لا أعرف ولا أضمن. أجابوا: إذًا كيف ترمي نفسك؟ أمّا أنا فكنتُ أشعر في أعماقي بأنّها مجازفة أُقدم عليها باقتناع، لا مجرَّد مجازفة عشوائيَّة فارغة. وكنت أشعر بأنّ الدافع إلى هذه المجازفة ليس دافعًا بشريًّا، فكنت أقول: «نعم» أنا أضمن المستقبل، ولكن لا بقدرتي، لأنّي، كما قال بولس الرسول، «أعلم بمَن آمنت»، أي أنّ الذي دعاني هو قادر أن يثبِّتني.

حماقة البشارة وحكمة البشر

أرى أنّ حياة المسيحيّ هي حياة على هذا المستوى، فإنّها ليست مبنيَّة على ضمانات بشريَّة وتفكير ومنطق بشريّ، بل على حكمة اللّه ومنطق الإيمان. ولنتأمّل معًا في نصّ للقدِّيس بولس: «هناك حكمة نتكلَّم عليها بين الناضجين في الروح، وهي غير حكمة هذا العالم ولا رؤساء هذا العالم، وسلطانهم إلى زوال، بل هي حكمة اللّه السرِّيَّة الخفيَّة التي أعدَّها اللّه قبل الدهور في سبيل مجدنا. وما عرفها أحد من رؤساء هذا العالم. ولو عرفوا لَما صلبوا ربّ المجد. فالكتاب يقول: الذي ما رأته عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر، أعدَّه اللّه للذين يحبّونه» (١ قور ٢/٦ ـ ٩)، أي أنّ ما لم يتصوّره خيال بشريّ، وما لم تره عين بشريَّة، وما لم تسمعه أذن بشريَّة ـ وهو ما نردِّده يوميًّا في القدَّاس ـ هذا ما أعدَّه اللّه للذين يؤمنون به.

coptic-books.blogspot.com

وهذا يعني أنّ إيماني باللّه يُلقي بي إلى طريق المستحيل، إلى طريق الحياة التي لم أكن أتصوَّرها أو يتصوَّرها أيّ إنسان. ومَن يلقي بنفسه في الإيمان والرجاء والمحبَّة، تلك الفضائل اللاهوتيَّة الثلاث، فهو يبدأ حياة على مستوى من الحكمة تختلف تمامًا عن حكمة العالم.

«ولكن اللّه كشف لنا بالروح». وما نلنا نحن روح هذا العالم، بل نلنا الروح الذي أرسله اللّه لنعرف ما منحنا اللّه من المواهب. ونحن لا نتكلَّم عليها بكلام تعلمه الحكمة البشريَّة، بل بكلام يعلمه الروح القدس. فنشرح الحقائق الروحانيَّة بعبارات روحانيَّة. الإنسان البشريّ لا يقبل ما هو من روح اللّه، لأنَّه يعتبره حماقة، ولا يقدر أن يفهمه، لأنّ الحكم فيه لا يكون إلاَّ بالروح. وأمَّا الإنسان الروحانيّ فيحكم في كلّ شيء ولا يحكم فيه أحد.

«فالبشارة بالصليب هي حماقة عند الذين يسلكون طريق الهلاك، وأمَّا عندنا نحن الذين يسلكون طريق الخلاص، فهي قدرة اللّه. فالكتاب يقول: «سأمحو حكمة الحكماء، وأزيل ذكاء الأذكياء، فأين الحكيم؟ وأين العلاَّمة؟ وأين المجادل في هذا الزمان؟ أما جعل اللّه حكمَة العالم حماقة؟» (١ قور ١/ ١٨). لقد عجز العالم بحكمته عن اكتشاف حكمة اللّه في أعماله، عندما شاء اللّه أن يخلِّص المؤمنين بحماقة البشارة، أي بالمسيح الذي هو قدرة اللّه وحكمته. فما يبدو لنا ظاهريًّا أنّه ضعف هو في الواقع أقوى من قوى العالَم كلّه. وهذا سرّ اللّه.

نحو منطق جديد بلا ضمانات

وهكذا نجد أنفسنا ـ إزاء الحماقة والحكمة ـ ندخل في منطق يختلف تمامًا عن المنطق البشريّ الذي يرتكز على الضمانات وعلى معرفة الخطوات التي سنخطوها وما بعدها، الخطوة تلو الخطوة، إذ لا يرمي بنفسه هكذا. هذه حكمة، ولكنَّها تتوقَّف عند مستوى مَن يريد أن يضمن كلّ شيء، ولكن الكتاب المقدَّس كلّه يرتكز على «مجازفة الإيمان».

coptic-books.blogspot.com

الرجاء رهان على المستحيل

يقتضي الرجاء أن يؤمن الإنسان بالمعجزة. فالمعجزات حقيقة، أي تحقّق المستحيل. وعندما أقول: مستحيل، أعني أنّ اللّه يحلّ محلّ الإنسان وأنّ حدودي أنا كإنسان قد انتهت إلى هنا. وعندئذٍ يبدأ مجال اللّه، لأنّ اللّه هو ربّ المستحيل. فحياة الإنسان المسيحيّ مبنيَّة على قدرة اللّه، لا على قدرة الإنسان. ولذلك فهي مجازفة ورهان على شيء اسمه «المستحيل».

حين شعرتُ بالدعوة الرهبانيَّة في سنّ التاسعة عشرة، اعترض بعضهم قائلين: وهل أنت تضمن الغد والمستقبل؟ فقلت: لا أعرف ولا أضمن. أجابوا: إذًا كيف ترمي نفسك؟ أمّا أنا فكنتُ أشعر في أعماقي بأنّها مجازفة أُقدم عليها باقتناع، لا مجرَّد مجازفة عشوائيَّة فارغة. وكنت أشعر بأنّ الدافع إلى هذه المجازفة ليس دافعًا بشريًّا، فكنت أقول: «نعم» أنا أضمن المستقبل، ولكن لا بقدرتي، لأنّي، كما قال بولس الرسول، «أعلم بمَن آمنت»، أي أنّ الذي دعاني هو قادر أن يثبِّتني.

حماقة البشارة وحكمة البشر

أرى أنّ حياة المسيحيّ هي حياة على هذا المستوى، فإنّها ليست مبنيَّة على ضمانات بشريَّة وتفكير ومنطق بشريّ، بل على حكمة اللّه ومنطق الإيمان. ولنتأمّل معًا في نصّ للقدِّيس بولس: «هناك حكمة نتكلَّم عليها بين الناضجين في الروح، وهي غير حكمة هذا العالم ولا رؤساء هذا العالم، وسلطانهم إلى زوال، بل هي حكمة اللّه السرِّيَّة الخفيَّة التي أعدَّها اللّه قبل الدهور في سبيل مجدنا. وما عرفها أحد من رؤساء هذا العالم. ولو عرفوا لَما صلبوا ربّ المجد. فالكتاب يقول: الذي ما رأته عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر، أعدَّه اللّه للذين يحبّونه» (١ قور ٢/٦ ـ ٩)، أي أنّ ما لم يتصوّره خيال بشريّ، وما لم تره عين بشريَّة، وما لم تسمعه أذن بشريَّة ـ وهو ما نردِّده يوميًّا في القدَّاس ـ هذا ما أعدَّه اللّه للذين يؤمنون به.

coptic-books.blogspot.com

وهذا يعني أنّ إيماني باللّه يُلقي بي إلى طريق المستحيل، إلى طريق الحياة التي لم أكن أتصوَّرها أو يتصوَّرها أيّ إنسان. ومَن يلقي بنفسه في الإيمان والرجاء والمحبَّة، تلك الفضائل اللاهوتيَّة الثلاث، فهو يبدأ حياة على مستوى من الحكمة تختلف تمامًا عن حكمة العالم.

«ولكن اللّه كشف لنا بالروح». وما نلنا نحن روح هذا العالم، بل نلنا الروح الذي أرسله اللّه لنعرف ما منحنا اللّه من المواهب. ونحن لا نتكلَّم عليها بكلام تعلمه الحكمة البشريَّة، بل بكلام يعلمه الروح القدس. فنشرح الحقائق الروحانيَّة بعبارات روحانيَّة. الإنسان البشريّ لا يقبل ما هو من روح اللّه، لأنَّه يعتبره حماقة، ولا يقدر أن يفهمه، لأنّ الحكم فيه لا يكون إلاّ بالروح. وأمَّا الإنسان الروحانيّ فيحكم في كلّ شيء ولا يحكم فيه أحد.

«فالبشارة بالصليب هي حماقة عند الذين يسلكون طريق الهلاك، وأمَّا عندنا نحن الذين يسلكون طريق الخلاص، فهي قدرة اللّه. فالكتاب يقول: «سأمحو حكمة الحكماء، وأزيل ذكاء الأذكياء، فأين الحكيم؟ وأين العلاَّمة؟ وأين المجادل في هذا الزمان؟ أما جعل اللّه حكمَة العالم حماقة؟» (١ قور ١/ ١٨). لقد عجز العالم بحكمته عن اكتشاف حكمة اللّه في أعماله، عندما شاء اللّه أن يخلِّص المؤمنين بحماقة البشارة، أي بالمسيح الذي هو قدرة اللّه وحكمته. فما يبدو لنا ظاهريًّا أنّه ضعف هو في الواقع أقوى من قوى العالَم كلّه. وهذا سرّ اللّه.

نحو منطق جديد بلا ضمانات

وهكذا نجد أنفسنا ـ إزاء الحماقة والحكمة ـ ندخل في منطق يختلف تمامًا عن المنطق البشريّ الذي يرتكز على الضمانات وعلى معرفة الخطوات التي سنخطوها وما بعدها، الخطوة تلو الخطوة، إذ لا يرمي بنفسه هكذا. هذه حكمة، ولكنَّها تتوقَّف عند مستوى مَن يريد أن يضمن كلّ شيء، ولكن الكتاب المقدَّس كلّه يرتكز على «مجازفة الإيمان».

coptic-books.blogspot.com

وفي إطار هذه المجازفة، نجد أنّ إسحق كان ابن المعجزة، ابن المستحيل... ابن الإيمان، لا ابن الطبيعة، لأنّ ولادته كانت مستحيلة طبيعيًّا. وكذلك كانت ضحيّة إسحق على أساس إيمان أعمى، إذ إنّ اللّه كان قد وعد إبراهيم بأنّه سيقيم له نسلاً من هذا الابن. وبالرغم من هذا الوعد، فقد طلب اللّه منه أن يذبح هذا الابن ويقدِّمه له محرقة. وبذلك بدا أنّ هناك تناقضًا في كلام اللّه. وعندما تقدّم إبراهيم، حاملاً السكّين، ليذبح ابنه تنفيذًا لطلب الربّ، لم يكن في تلك اللحظات أدنى شعاع من الأمل، لكنّه كان منقادًا بالرجاء الأعمى. وهكذا فعندما تختفي المؤشِّرات البشريَّة، ينتهي الأمل ويبدأ الرجاء.

وكذلك أيّوب، عندما سحقه اللّه بمحنة تتجاوز حدود المعقول، فأخذ منه كلّ ممتلكاته وماشيته وبيته، ثمّ أولاده، ثمّ صحّته، لم يفهم، وكان في الظلام الدامس. لكنَّه ظلّ يتمتَّع بإيمان أعمى وبرجاء خالص، لأنّ عمل اللّه يبدأ عندما ينتهي عمل الإنسان.

لذلك نجد في العهد القديم أنّ اللّه، كلَّما أراد أن يقيم نبيًّا أو قائدًا أو زعيمًا لشعبه، يقيمه من امرأة عاقر، ويريد، من خلال ذلك، أن يؤكِّد أنّه فوق الوسائل البشريَّة، وكذلك في العهد الجديد ولدت أليصابات يوحنَّا المعمدان في شيخوختها، وكان زكريّا يجادل الملاك، عندما بشَّره بذلك.

الإيمان بالمستحيل

فعندما ندخل في مجال الإيمان، ينبغي أن نغيِّر تفكيرنا ونكتشف أنّ معايير اللّه ليست معايير الإنسان، وندرك أنّ له دورًا في حياتنا، فلا تُبنى كلّ الأمور على منطق بشريّ.

فلنأخذ من العهد القديم بعض الأمثال التي توضِّح لنا هذه الفكرة. وُلد النبيّ شمشون من أم عاقر، ونذر ذاته للّه منذ بداية حياته فأعطاه اللّه قوَّة فائقة للقضاء على أعداء شعبه، ممّا جعله يقضي على حياة ثلثمائة من العمالقة باستخدام فكّ حمار. فلم يكن هذا الانتصار نتيجة لقوَّته العضليّة، كما

coptic-books.blogspot.com

يتصوّر بعضهم، بل بمعجزة حقيقيّة من اللّه الذي أعطاه هذه القدرة نتيجة لتكريسه له.

وفي قصّة جدعون الذي وُلد أيضًا من أمّ عاقر، نجد أنّه حين أراد أن يحارب عماليق بقوّة جيش، قال له الربّ: إنّ عدد رجالك كبير. وجعله يخوض المعركة بثلثمائة رجل فقط، وانتصر فعلاً، مع أنّه كان من المعروف منطقيًّا أنّه بثلاثة أو بثلاثين ألفًا كان يخسر المعركة، وأنّ النصر بهذا العدد الكبير من الرجال يُعتبر نصرًا بشريًّا. أمّا النصر بثلثمائة رجل فقط، فهو نصر إلهيّ.

وأنا أومن شخصيًّا بأنّه، أيًّا كانت براعتي وقوّة اقتناعي، لن أُحقِّق ثمرة الخلاص فيمَن يقرأني، لأنّ الثمرة من اللّه ومن قوّة نعمته. ومن دونه، فأنا أُنادي في صحراء. ولن تتحقَّق أي ثمرة خلاصيَّة فيمن يقرأني، إذ ليس الإنسان هو الذي يستطيع أن يبني أو يصوِّر المسيح في قلب أيّ إنسان.

إنّ الإنسان هو العجز المطلق أمام معجزة التجسُّد الإلهيّ. فكيف نريد من إنسان أن يحقِّق مولد اللّه في قلب أيّ فرد، إن لم يكن اللّه معه، يتكلَّم بفمه ويعمل به وفيه؟ كان أحد القدِّيسين يقول «إنّه حمار، ولكنّه يحمل اللّه». وكذلك، حين كان داود النبيّ يرعى غنم أبيه، سمع الربّ يقول له: «إذهب أنت الصغير الضعيف إلى هذا البطل المخيف القويّ الذي يحمل كلّ أنواع الأسلحة الهجوميَّة والدفاعيَّة، إذهب إليه بمقلاعك البدائيّ وحاربه، ولا تخف، فإنّي معك». فاستطاع هذا الغلام الهزيل أن يهزم جليات العملاق. ولم يتمّ هذا بدهاء داود، بل بقوّة اللّه.

وفي العهد الجديد، وُلد يوحنَّا المعمدان من امرأة عاقر في شيخوختها، كما قال الملاك لزكريَّا: «ستلد لكَ امرأتك أليصابات ابنًا تسمِّيه يوحنَّا، وستفرح به وتبتهج، ويفرح بمولده كثير من الناس، لأنّه سيكون عظيمًا عند الربّ، ولن يشرب خمرًا ولا مسكرًا، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمّه، ويهدي كثيرًا من بني إسرائيل إلى الربّ إلههم، ويسير أمام اللّه بروح

coptic-books.blogspot.com

وفي إطار هذه المجازفة، نجد أنّ إسحق كان ابن المعجزة، ابن المستحيل... ابن الإيمان، لا ابن الطبيعة، لأنّ ولادته كانت مستحيلة طبيعيًّا. وكذلك كانت ضحيّة إسحق على أساس إيمان أعمى، إذ إنّ اللّه كان قد وعد إبراهيم بأنّه سيقيم له نسلاً من هذا الابن. وبالرغم من هذا الوعد، فقد طلب اللّه منه أن يذبح هذا الابن ويقدِّمه له محرقة. وبذلك بدا أنّ هناك تناقضًا في كلام اللّه. وعندما تقدّم إبراهيم، حاملاً السكّين، ليذبح ابنه تنفيذًا لطلب الربّ، لم يكن في تلك اللحظات أدنى شعاع من الأمل، لكنّه كان منقادًا بالرجاء الأعمى. وهكذا فعندما تختفي المؤشِّرات البشريَّة، ينتهي الأمل ويبدأ الرجاء.

وكذلك أيّوب، عندما سحقه اللّه بمحنة تتجاوز حدود المعقول، فأخذ منه كلّ ممتلكاته وماشيته وبيته، ثمّ أولاده، ثمّ صحّته، لم يفهم، وكان في الظلام الدامس. لكنَّه ظلّ يتمتَّع بإيمان أعمى وبرجاء خالص، لأنّ عمل اللّه يبدأ عندما ينتهي عمل الإنسان.

لذلك نجد في العهد القديم أنّ اللّه، كلَّما أراد أن يقيم نبيًّا أو قائدًا أو زعيمًا لشعبه، يقيمه من امرأة عاقر، ويريد، من خلال ذلك، أن يؤكِّد أنّه فوق الوسائل البشريَّة، وكذلك في العهد الجديد ولدت أليصابات يوحنَّا المعمدان في شيخوختها، وكان زكريّا يجادل الملاك، عندما بشَّره بذلك.

الإيمان بالمستحيل

فعندما ندخل في مجال الإيمان، ينبغي أن نغيِّر تفكيرنا ونكتشف أنّ معايير اللّه ليست معايير الإنسان، وندرك أنّ له دورًا في حياتنا، فلا تُبنى كلّ الأمور على منطق بشريّ.

فلنأخذ من العهد القديم بعض الأمثال التي توضِّح لنا هذه الفكرة. وُلد النبيّ شمشون من أم عاقر، ونذر ذاته للّه منذ بداية حياته فأعطاه اللّه قوَّة فائقة للقضاء على أعداء شعبه، ممّا جعله يقضي على حياة ثلثمائة من العمالقة باستخدام فكّ حمار. فلم يكن هذا الانتصار نتيجة لقوَّته العضليّة، كما

coptic-books.blogspot.com

يتصوّر بعضهم، بل بمعجزة حقيقيّة من اللّه الذي أعطاه هذه القدرة نتيجة لتكريسه له.

وفي قصّة جدعون الذي وُلد أيضًا من أمّ عاقر، نجد أنّه حين أراد أن يحارب عماليق بقوّة جيش، قال له الربّ: إنّ عدد رجالك كبير. وجعله يخوض المعركة بثلثمائة رجل فقط، وانتصر فعلاً، مع أنّه كان من المعروف منطقيًّا أنّه بثلاثة أو بثلاثين ألفًا كان يخسر المعركة، وأنّ النصر بهذا العدد الكبير من الرجال يُعتبر نصرًا بشريًّا. أمّا النصر بثلثمائة رجل فقط، فهو نصر إلهيّ.

وأنا أومن شخصيًّا بأنّه، أيًّا كانت براعتي وقوّة اقتناعي، لن أُحقِّق ثمرة الخلاص فيمَن يقرأني، لأنّ الثمرة من اللّه ومن قوّة نعمته. ومن دونه، فأنا أُنادي في صحراء. ولن تتحقَّق أي ثمرة خلاصيَّة فيمن يقرأني، إذ ليس الإنسان هو الذي يستطيع أن يبني أو يصوِّر المسيح في قلب أيّ إنسان.

إنّ الإنسان هو العجز المطلق أمام معجزة التجسُّد الإلهيّ. فكيف نريد من إنسان أن يحقِّق مولد اللّه في قلب أيّ فرد، إن لم يكن اللّه معه، يتكلَّم بفمه ويعمل به وفيه؟ كان أحد القدِّيسين يقول «إنّه حمار، ولكنّه يحمل اللّه». وكذلك، حين كان داود النبيّ يرعى غنم أبيه، سمع الربّ يقول له: «إذهب أنت الصغير الضعيف إلى هذا البطل المخيف القويّ الذي يحمل كلّ أنواع الأسلحة الهجوميَّة والدفاعيَّة، إذهب إليه بمقلاعك البدائيّ وحاربه، ولا تخف، فإنّي معك». فاستطاع هذا الغلام الهزيل أن يهزم جليات العملاق. ولم يتمّ هذا بدهاء داود، بل بقوّة اللّه.

وفي العهد الجديد، وُلد يوحنَّا المعمدان من امرأة عاقر في شيخوختها، كما قال الملاك لزكريَّا: «ستلد لكَ امرأتك أليصابات ابنًا تسمِّيه يوحنَّا، وستفرح به وتبتهج، ويفرح بمولده كثير من الناس، لأنّه سيكون عظيمًا عند الربّ، ولن يشرب خمرًا ولا مسكرًا، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمّه، ويهدي كثيرًا من بني إسرائيل إلى الربّ إلههم، ويسير أمام اللّه بروح

coptic-books.blogspot.com

إيليّا وقوّته، ليصالح الآباء مع الأبناء، ويُرجع العصاة إلى حُكم الأبرار» (لوقا ١/١٣ - ١٧).

ووُلد يسوع من امرأة عذراء: «كيف يكون ذلك ولست أعرف رجلاً؟» هكذا أجابت العذراء للملاك. فقال لها: «الروح القدس يحلّ عليك وقدرة العليّ تظلِّلك»، لأنّه لا يستحيل شيء عند اللّه. ومن تلك الكلمات يتّضح أنّ هذا الابن لن يكون ابنًا عاديًّا، بل ابن العليّ.

يا ليتنا، حين نكون بصدد اتّخاذ قرار في حياتنا، مبنيّ على مجازفة الإيمان، يا ليتنا نسمع هذه الكلمات توجَّه إلينا: «الروح القدس سيحلّ عليك وقدرة العليّ تظلِّلك، لأنّ المولود منك سيكون من الروح القدس». سيكون ابن المعجزة، سواء أكان مشروعًا أو إنجازًا، بما أنّه بُني على أساس إيمانيّ: «طوبى للتي آمنت، فسيتمّ ما قيل لها من قبل الربّ»، كما هتفت أليصابات عند زيارة مريم لها، لأنّه لا يستحيل أمر عند اللّه. ونجد أنّ جميع الذين حقّقوا شيئًا في حياتهم قد حقّقوه عن إيمان.

فالمسيحيَّة مبنيَّة على هذا الإيمان بالمستحيل. وإذا استنكر أو رفض إخواننا المسلمون عقيدة المسيح ابن اللّه، وإذا اتّهمونا بالجنون، فهم على حقّ، لأنّ إنسانًا له يدان ورجلان ورأس، يسير وينام، ويأكل، كيف يكون هو اللّه أو ابن اللّه؟ هذا هو المستحيل، ولكنّنا نؤمن بالمستحيل، وإن وضعنا أنفسنا في منطق المستحيل، ندخل في فهم المسيح والمسيحيَّة، لأنّها لا تُفهم على مستوى المنطق البشريّ، بل على مستوى المنطق الإلهيّ. ولكي تفهم الإيمان، ينبغي لك أن تضع نفسك داخل الإيمان، فلا سبيل لفهم الإيمان المسيحيّ خارجًا عنه.

وفي هذا الإطار، نتأمّل معًا في العذراء مريم التي ولدت ابن اللّه وهي بشر، ولنتساءل كيف يلد بشر اللّه؟ فهناك تناقض، إذ كيف يمكن أن تخرج الزيادة من الناقص والأكبر من الأصغر؟ كيف تقدر العذراء مريم أن تلد مَن هو أكبر منها وفوقها؟ لذلك فإنّ إخواننا المسلمين يعدّون عبارة أمّ اللّه التي نقولها كفرًا، ولهم عذر في هذا.

coptic-books.blogspot.com

لتكشف البشريَّة دعوتها مرَّة أخرى

سرّ الإنسان

يُعتبر الإيمان بأنّ مريم هي أمّ اللّه أساسًا لحقيقة دعوة الإنسان إلى التفوّق، أي أنّ اللّه قد وضع في الإنسان قدرة على التفوّق على نفسه، في حركة تفوُّقيَّة توصل في النهاية إلى اللّه. وما حدث في العذراء، حين ولدت مَن هو أعظم وأكبر منها ويفوقها تفوُّقًا مطلقًا، يعني أنّ في داخل الإنسان قدرات لامحدودة، على مثال جبل الجليد الذي يُصوَّر بحجم معيَّن، مع أنّ حجمه غير الظاهر لا نهاية له. وما من دين إلاَّ المسيحيَّة يعترف بوجود اللامحدود داخل المحدود وبوجود أبعاد خفيَّة عميقة لا يمكن أن نتصوَّرها، لأنّها أغوار لا حدود لها.

ففي الإنسان ما هو أعظم منه. وهذا سرّ الإنسان في ضوء المسيحيَّة، وهو ضوء غريب تلقيه عليه. فالأنثروبولوجية ـ علم الإنسان ـ لا يمكن أن تبني نظريّاتها بدون نظريّة مسيحيَّة للإنسان. وقد تجلَّت هذه النظرة وهذا الضوء في رؤية المجمع الفاتيكانيّ الثاني للإنسان وفي الكلمة الختاميَّة التي ألقاها البابا بولس السادس على المجمع، حينما قال: «ونحن أكثر من أيّ أحد نؤمن بالإنسان». فالمسيحيَّة في عمقها هي إيمان بالإنسان، إيمان بعظمة الإنسان،

coptic-books.blogspot.com

إيليّا وقوّته، ليصالح الآباء مع الأبناء، ويُرجع العصاة إلى حُكم الأبرار» (لوقا ١/١٣ - ١٧).

ووُلد يسوع من امرأة عذراء: «كيف يكون ذلك ولست أعرف رجلاً؟» هكذا أجابت العذراء للملاك. فقال لها: «الروح القدس يحلّ عليك وقدرة العليّ تظلّلك»، لأنّه لا يستحيل شيء عند اللّه. ومن تلك الكلمات يتّضح أنّ هذا الابن لن يكون ابنًا عاديًّا، بل ابن العليّ.

يا ليتنا، حين نكون بصدد اتّخاذ قرار في حياتنا، مبنيّ على مجازفة الإيمان، يا ليتنا نسمع هذه الكلمات توجّه إلينا: «الروح القدس سيحلّ عليك وقدرة العليّ تظلّلك، لأنّ المولود منك سيكون من الروح القدس». سيكون ابن المعجزة، سواء أكان مشروعًا أو إنجازًا، بما أنّه بُني على أساس إيمانيّ: «طوبى للتي آمنت، فسيتمّ ما قيل لها من قبل الربّ»، كما هتفت أليصابات عند زيارة مريم لها، لأنّه لا يستحيل أمر عند اللّه. ونجد أنّ جميع الذين حقّقوا شيئًا في حياتهم قد حقّقوه عن إيمان.

فالمسيحيّة مبنيّة على هذا الإيمان بالمستحيل. وإذا استنكر أو رفض إخواننا المسلمون عقيدة المسيح ابن اللّه، وإذا اتّهمونا بالجنون، فهم على حقّ، لأنّ إنسانًا له يدان ورجلان ورأس، يسير وينام، ويأكل، كيف يكون هو اللّه أو ابن اللّه؟ هذا هو المستحيل، ولكنّنا نؤمن بالمستحيل، وإن وضعنا أنفسنا في منطق المستحيل، ندخل في فهم المسيح والمسيحيّة، لأنّها لا تُفهم على مستوى المنطق البشريّ، بل على مستوى المنطق الإلهيّ. ولكي تفهم الإيمان، ينبغي لك أن تضع نفسك داخل الإيمان، فلا سبيل لفهم الإيمان المسيحيّ خارجًا عنه.

وفي هذا الإطار، نتأمّل معًا في العذراء مريم التي ولدت ابن اللّه وهي بشر، ولنتساءل كيف يلد بشر اللّه؟ فهناك تناقض، إذ كيف يمكن أن تخرج الزيادة من الناقص والأكبر من الأصغر؟ كيف تقدر العذراء مريم أن تلد مَن هو أكبر منها وفوقها؟ لذلك فإنّ إخواننا المسلمين يعدّون عبارة أمّ اللّه التي نقولها كفرًا، ولهم عذر في هذا.

coptic-books.blogspot.com

لتكشف البشريَّة دعوتها مرَّة أخرى

سرّ الإنسان

يُعتبر الإيمان بأنّ مريم هي أمّ اللّه أساسًا لحقيقة دعوة الإنسان إلى التفوّق، أي أنّ اللّه قد وضع في الإنسان قدرة على التفوّق على نفسه، في حركة تفوُّقيَّة توصل في النهاية إلى اللّه. وما حدث في العذراء، حين ولدت مَن هو أعظم وأكبر منها ويفوقها تفوُّقًا مطلقًا، يعني أنّ في داخل الإنسان قدرات لامحدودة، على مثال جبل الجليد الذي يُصوَّر بحجم معيَّن، مع أنّ حجمه غير الظاهر لا نهاية له. وما من دين إلاَّ المسيحيَّة يعترف بوجود اللامحدود داخل المحدود وبوجود أبعاد خفيَّة عميقة لا يمكن أن نتصوَّرها، لأنّها أغوار لا حدود لها.

ففي الإنسان ما هو أعظم منه. وهذا سرّ الإنسان في ضوء المسيحيَّة، وهو ضوء غريب تلقيه عليه. فالأنثروبولوجية ـ علم الإنسان ـ لا يمكن أن تبني نظريّاتها بدون نظريّة مسيحيَّة للإنسان. وقد تجلَّت هذه النظرة وهذا الضوء في رؤية المجمع الفاتيكانيّ الثاني للإنسان وفي الكلمة الختاميَّة التي ألقاها البابا بولس السادس على المجمع، حينما قال: «ونحن أكثر من أيّ أحد نؤمن بالإنسان». فالمسيحيَّة في عمقها هي إيمان بالإنسان، إيمان بعظمة الإنسان،

coptic-books.blogspot.com

إيمان بتفوُّق الإنسان، إيمان بقدرة الإنسان، وهذا الإيمان يتأصّل في الإيمان بابن الإنسان، يسوع المسيح.

تحقيق أملنا سيكون على مستوى رجائنا

ويتأصَّل هذا الإيمان أيضًا في النظرة إلى العذراء مريم، ذلك الشخص البسيط المتواضع الذي ينتمي إلى جنسنا وبشريَّتنا. فهي بشر مثلنا، وعلى قدر ما كانت تعيشه من رجاء، تمكَّن اللّه أن يتجسَّد فيها، أي أنّ الرجاء، بقدر ما يكون عظيمًا، يحقِّق ما نأمله أو ما نرجوه. وسيُعطى لنا على قدر ما نتمنّاه، فإنّ عطاء اللّه سيكون على مستوى رجائنا. والعذراء مريم كانت قد ركَّزت في عمق نفسها رجاء شعب اللّه كلّه، وهو طالما عاشه وتطلَّع إليه وانتظره طوال عشرين قرنًا منذ عهد إبراهيم. كان ذلك الشعب حاملاً للرجاء وللرغبة، كان حاملاً في داخله الانتظار لحقيقة معيَّنة، الانتظار للمسيح، انتظارًا لِما يفوق الخيال. وتلك الفتاة مريم كانت قد ركَّزت في نفسها هذا الرجاء، فكان شعب اللّه كلُّه يتركَّز في شخص العذراء. وهي باسم هذا الشعب كلّه، بل وباسم البشريَّة كلّها، تقول للربّ: «نعم»، أومن، أومن، أومن بأنّ هذا هو في الحقيقة. آمنت مريم فتحقَّقت المعجزة، فقبلت ابن اللّه وولدته.

ويمكننا أن نقول إنّه إذا كان المسيح قد نبت من الأرض وخرج منها، فهذا يعني أنّ الأرض حقَّقت المعجزة، أي أنّها ولدت اللّه في صورة المسيح. وبما أنّ العذراء مريم هي رمز لِما نسمِّيه الكنيسة، أي الإنسانيَّة الجديدة، فإن ما تمّ في العذراء يوم البشارة ينبغي أن يتمّ يومًا ما في الكنيسة، لأنّ الإنسانيَّة الجديدة هي الآن في حالة تمخُّض إلى أن يتجلَّى فيها المسيح المزمع أن يأتي، أي أنّ التجسُّد الأوَّل ما هو إلاَّ باكورة أو مقدِّمة للتجسُّد الثاني. فالأوَّل يشير إلى حقيقة أخرى ينبغي أن تحقَّق - وها هي الآن في مرحلة التحقيق - بمعنى أنّ المسيح هو الآن في حالة تكوين داخلَ أحشاء البشريَّة الجديدة. وكما أنّ المسيح التاريخيّ عاش في أحشاء مريم تسعة أشهر، ثمّ وُلد، كذلك هو يعيش

coptic-books.blogspot.com

الآن مختفيًا في أحشاء البشريَّة هذه الأشهر التسعة التي نسمِّيها «التاريخ»، تاريخ العالم وتاريخ الإنسانيَّة، وما هو إلاَّ تسعة أشهر تكوَّن في أثنائها هذا المسيح الجديد الذي يأتي بملء قامته.

الإيمان بالمسيح هو إيمان بالإنسان

وهذا يؤكِّد أنّ، في داخل البشريَّة، قدرات خفيَّة لامعقولة تفوق الخيال، تمكِّنها من أن تَلِد ما يفوقها، بناء على بذور الألوهيَّة التي وضعها اللّه في داخل البشريَّة. وعندما نسمع أنّ العلماء نجحوا في الهبوط على القمر واكتشفوا وحقَّقوا إنجازات علميَّة، فهذا ليس شيئًا بالنسبة إلى ما سيفعلونه في المستقبل. لقد دخلنا عصر المستحيلات، وما سنراه من إنجازات بشريَّة سيفوق التصوُّر والخيال. وأمامنا مراحل ومراحل من التقدُّم والتفوُّق لا نستطيع أن نتصوَّرها. وأقول هذا الكلام بدافع مسيحيّ، لأنّ بعضهم يعتقد بأنّ العلم قد وصل إلى قمّته، ولكن ما دامت بذور الألوهيَّة قد زُرعت في داخل الإنسان، فسنرى أعظم ممَّا وصل إليه العلم حتّى الآن.

ومعنى ذلك أنّ تفاؤل المسيحيّ ورجاءه له أساس، فأنا أومن بالإنسان إيمانًا يفوق المعقول، لأنّي أومن بالمسيح الذي هو ابن الإنسان وابن اللّه في الوقت نفسه، ولأنّي أومن بأنّ في داخل الإنسان خميرة عاملة ونشيطة. يشبه ملكوت السموات رجلاً زرع بذرة صغيرة أصبحت شجرة كبيرة.

إلتقيت ذات مرّة بعض الشباب الذين عبَّروا عن إعجابهم بمحاضرة ألقيتها عن الكفن المقدَّس، وطلبوا إليَّ أن أُعيدها ليستفيد منها آخرون. ولكنّي طلبت إليهم أن يقوموا هم بتقديم هذه المحاضرة إلى الآخرين. فدهشوا مستنكرين أن أطلب إليهم ذلك. وحاولت إقناعهم. بما أنّهم قد فهموا الموضوع فما الذي يمنعهم من تبليغ الرسالة إلى الآخرين؟ وقدَّمت إليهم المستندات والصور والشرائح. وبعد أن كانوا يشكّون في قدرتهم، يجري الآن تصوير عدّة نسخ من المستندات ليقوم بعض شباب الجامعة والمرحلة الثانويَّة

coptic-books.blogspot.com

إيمان بتفوُّق الإنسان، إيمان بقدرة الإنسان، وهذا الإيمان يتأصّل في الإيمان بابن الإنسان، يسوع المسيح.

تحقيق أملنا سيكون على مستوى رجائنا

ويتأصَّل هذا الإيمان أيضًا في النظرة إلى العذراء مريم، ذلك الشخص البسيط المتواضع الذي ينتمي إلى جنسنا وبشريَّتنا. فهي بشر مثلنا، وعلى قدر ما كانت تعيشه من رجاء، تمكَّن اللّه أن يتجسَّد فيها، أي أنّ الرجاء، بقدر ما يكون عظيمًا، يحقِّق ما نأمله أو ما نرجوه. وسيُعطى لنا على قدر ما نتمنّاه، فإنّ عطاء اللّه سيكون على مستوى رجائنا. والعذراء مريم كانت قد ركَّزت في عمق نفسها رجاء شعب اللّه كلّه، وهو طالما عاشه وتطلَّع إليه وانتظره طوال عشرين قرنًا منذ عهد إبراهيم. كان ذلك الشعب حاملاً للرجاء وللرغبة، كان حاملاً في داخله الانتظار لحقيقة معيَّنة، الانتظار للمسيح، انتظارًا لِما يفوق الخيال. وتلك الفتاة مريم كانت قد ركَّزت في نفسها هذا الرجاء، فكان شعب اللّه كلُّه يتركَّز في شخص العذراء. وهي باسم هذا الشعب كلّه، بل وباسم البشريَّة كلّها، تقول للربّ: «نعم»، أومن، أومن، أومن بأنّ هذا هو في الحقيقة. آمنت مريم فتحقَّقت المعجزة، فقبلت ابن اللّه وولدته.

ويمكننا أن نقول إنّه إذا كان المسيح قد نبت من الأرض وخرج منها، فهذا يعني أنّ الأرض حقَّقت المعجزة، أي أنّها ولدت اللّه في صورة المسيح. وبما أنّ العذراء مريم هي رمز لِما نسمِّيه الكنيسة، أي الإنسانيَّة الجديدة، فإن ما تمّ في العذراء يوم البشارة ينبغي أن يتمّ يومًا ما في الكنيسة، لأنّ الإنسانيَّة الجديدة هي الآن في حالة تمخُّض إلى أن يتجلَّى فيها المسيح المزمع أن يأتي، أي أنّ التجسُّد الأوَّل ما هو إلاَّ باكورة أو مقدِّمة للتجسُّد الثاني. فالأوَّل يشير إلى حقيقة أخرى ينبغي أن تحقَّق - وها هي الآن في مرحلة التحقيق - بمعنى أنّ المسيح هو الآن في حالة تكوين داخلَ أحشاء البشريَّة الجديدة. وكما أنّ المسيح التاريخيّ عاش في أحشاء مريم تسعة أشهر، ثمّ وُلد، كذلك هو يعيش

coptic-books.blogspot.com

الآن مختفيًا في أحشاء البشريَّة هذه الأشهر التسعة التي نسمِّيها «التاريخ»، تاريخ العالم وتاريخ الإنسانيَّة، وما هو إلاَّ تسعة أشهر تكوَّن في أثنائها هذا المسيح الجديد الذي يأتي بملء قامته.

الإيمان بالمسيح هو إيمان بالإنسان

وهذا يؤكِّد أنّ، في داخل البشريَّة، قدرات خفيَّة لامعقولة تفوق الخيال، تمكِّنها من أن تَلِد ما يفوقها، بناء على بذور الألوهيَّة التي وضعها اللّه في داخل البشريَّة. وعندما نسمع أنّ العلماء نجحوا في الهبوط على القمر واكتشفوا وحقَّقوا إنجازات علميَّة، فهذا ليس شيئًا بالنسبة إلى ما سيفعلونه في المستقبل. لقد دخلنا عصر المستحيلات، وما سنراه من إنجازات بشريَّة سيفوق التصوُّر والخيال. وأمامنا مراحل ومراحل من التقدُّم والتفوُّق لا نستطيع أن نتصوَّرها. وأقول هذا الكلام بدافع مسيحيّ، لأنّ بعضهم يعتقد بأنّ العلم قد وصل إلى قمّته، ولكن ما دامت بذور الألوهيَّة قد زُرعت في داخل الإنسان، فسنرى أعظم ممَّا وصل إليه العلم حتّى الآن.

ومعنى ذلك أنّ تفاؤل المسيحيّ ورجاءه له أساس، فأنا أومن بالإنسان إيمانًا يفوق المعقول، لأنّي أومن بالمسيح الذي هو ابن الإنسان وابن اللّه في الوقت نفسه، ولأنّي أومن بأنّ في داخل الإنسان خميرة عاملة ونشيطة. يشبه ملكوت السموات رجلاً زرع بذرة صغيرة أصبحت شجرة كبيرة.

إلتقيت ذات مرّة بعض الشباب الذين عبَّروا عن إعجابهم بمحاضرة ألقيتها عن الكفن المقدَّس، وطلبوا إليَّ أن أُعيدها ليستفيد منها آخرون. ولكنّي طلبت إليهم أن يقوموا هم بتقديم هذه المحاضرة إلى الآخرين. فدهشوا مستنكرين أن أطلب إليهم ذلك. وحاولت إقناعهم. بما أنّهم قد فهموا الموضوع فما الذي يمنعهم من تبليغ الرسالة إلى الآخرين؟ وقدَّمت إليهم المستندات والصور والشرائح. وبعد أن كانوا يشكّون في قدرتهم، يجري الآن تصوير عدّة نسخ من المستندات ليقوم بعض شباب الجامعة والمرحلة الثانويَّة

coptic-books.blogspot.com

بشرح الموضوع لزملائهم. وقد تكرَّر الطلب نفسه من أشخاص آخرين. فطلبت إليهم أن يقوموا بهذه المبادرة شخصيًّا.

لماذا يجب أن يتكلَّم الكهنة والرهبان والراهبات، ولا يقوم أفراد الشعب أيضًا بمثل هذه المهمَّة؟ لقد فهمتم رسالة الخلاص وامتلأتم حماسةً. فلماذا لا تقومون كمؤمنين بنقلها إلى غيركم؟ ولماذا تقتصر هذه المهمَّة على رجال الدين فقط؟ لماذا لا تطلبون المستندات والوسائل وتبشِّرون بها الآخرين؟ ربّما تحتجّون كهؤلاء الشباب بعدم المعرفة أو الإمكانيَّة، ولكنّي أقول لكم، كما أقول للجميع: الربّ معكم، فهلمّوا إلى العمل. وهذا أحد المشاكل التي تعطِّل رسالة العلمانيِّين، وهي أنّهم يشكّون في مقدرتهم ويخشون الفشل وتنقصهم الشجاعة.

لنتذكَّر إرميا النبي حين اختاره اللّه ليرسله نبيًّا إلى الشعب. أجاب الربّ قائلاً: «أيُّها السيِّد الربّ، لا أعرف أن أتكلَّم لأنّي صبيّ»، فقال الربّ: «لا تقل: إنّي صبيّ، فإنّي لكلّ ما أرسلك إليه تنطلق، وكلّ ما آمرك به تقوله» (إرميا ١/٦ - ٧).

وعندما أمر الربّ موسى أن يذهب إلى فرعون، طلب إلى الربّ أن يرسل هارون أخاه، لأنّه هو لا يعرف أن يتكلَّم. لكنّ الربّ تمسَّك بأن يرسل موسى وطمأنه بأنّه هو الربّ الذي سيتكلَّم بفمه (خروج ٣).

وقد نمرّ بالحالة نفسها، عندما نخاف فيتوقَّف عمل الرسالة. ولكن لماذا نتصوَّر أنّ الكاهن وحده هو الذي يعمل ويبشِّر وينشر ملكوت المسيح؟ ولماذا يتنحَّى العلمانيّون؟ أليس جميعًا من كلّ فئة وجنس نكوِّن الكنيسة؟ فلا تقل: إنّي صبيّ، كما قال إرميا، فالربّ معك وروح الربّ عليك. لقد نلت خيرات وبركات، وحصلت على قدر من الثقافة، واستمعت إلى العديد من المحاضرات، فلا ينبغي أن تدفن كلّ هذا في باطنك، بل عليك أن تنشر رسالة المسيح حولك.

أعرف شابًّا يقوم بتدريس الرياضيَّات والعلوم في أربع مدارس

coptic-books.blogspot.com

للراهبات، وقد استمع إلى محاضرات ألقيتها، واستوعبها جيِّدًا. وهو الآن يقوم بإلقائها ونشر الرسالة التي فيها، بعد أن اقتنع شخصيًّا بها. فيجمع مرّة في الأسبوع حوالى مائة شخص ليحمل إليهم رسالة الخلاص، وذلك رغم حداثة سنّه، إذ هو في السابعة والعشرين، ورغم الإرهاق الذي يعانيه من التدريس، إلى جانب مشقَّة التأليف، إذ إنّه ينشر سنويًّا كتابَين أو ثلاثة في العلوم والرياضيَّات. فالبرغم من هذه المسؤوليَّات، يجد الوقت لينشر أسبوعيًّا رسالة المسيح وإنجيل الخلاص. فمن أين تأتيه هذه الشجاعة والثبات؟... إنّه يشعر بأنّ روح اللّه هو الذي ينطق بلسانه، ويعترف بأنّه كثيرًا ما يأتي إلى الاجتماع من دون أن يعدّ الموضوع الذي سيتحدَّث عنه، ومع ذلك فإنّه، حين يبدأ، تتزاحم الأفكار في ذهنه وينطلق من فمه الكلام، كما أنّه يعترف بعمل روح اللّه في ما يقوله. فبصفته فردًا عاديًّا من أفراد الشعب المؤمن، يكون كلامه مسموعًا ومؤثِّرًا أكثر من كلام الكاهن الذي يتحدَّث انطلاقًا من رسالته الكهنوتيَّة.

وأتساءل الآن: لماذا لا نرى مثل هذه المبادرات هنا وفي كلّ رعيَّة وفي كلّ بلدة؟ لماذا لا نجد بين الشعب المسيحيّ مَن يتخلَّص من الخوف وينشر رسالة الخلاص في حدود إمكانيَّاته ويبشِّر باسم المسيح في محيطه، مهما كان محدودًا؟ إعتمدوا على اللّه، فالربّ معكم.

نحن لا نأخذ، مع الأسف، دعوتنا على محمل الجدّ، ولا نعي أنّنا أبناء اللّه. وقد نظنّ أنّها لفظ مجازيّ. نحن أبناء اللّه، وينبغي أن نؤمن بهذا: «أنظروا أيّة محبَّة أحبَّنا الآب حتّى نُدعى ونكون أبناء اللّه» (١ يوحنَّا/ ٣ - ١).

إنّ معجزة التجسُّد الإلهيّ في أحشاء مريم تتكرَّر فينا دائمًا، إذ إنّ اللّه يقول مبشِّرًا كلاًّ منّا ببشرى الفرح: الربّ معك»، روح اللّه ستحلّ عليك وقوَّة العلي تظلِّلك» (لوقا ١/٣٥). لكنَّنا نتردَّد مع ذلك، ويقول كلّ منّا: كيف يكون ذلك؟ مَن أنا؟ لماذا؟ هذا أمر مستحيل وغير مستطاع. وحينما

coptic-books.blogspot.com

بشرح الموضوع لزملائهم. وقد تكرَّر الطلب نفسه من أشخاص آخرين. فطلبت إليهم أن يقوموا بهذه المبادرة شخصيًّا.

لماذا يجب أن يتكلَّم الكهنة والرهبان والراهبات، ولا يقوم أفراد الشعب أيضًا بمثل هذه المهمَّة؟ لقد فهمتم رسالة الخلاص وامتلأتم حماسةً. فلماذا لا تقومون كمؤمنين بنقلها إلى غيركم؟ ولماذا تقتصر هذه المهمَّة على رجال الدين فقط؟ لماذا لا تطلبون المستندات والوسائل وتبشِّرون بها الآخرين؟ ربّما تحتجّون كهؤلاء الشباب بعدم المعرفة أو الإمكانيَّة، ولكنّي أقول لكم، كما أقول للجميع: الربّ معكم، فهلمّوا إلى العمل. وهذا أحد المشاكل التي تعطِّل رسالة العلمانيِّين، وهي أنّهم يشكّون في مقدرتهم ويخشون الفشل وتنقصهم الشجاعة.

لنتذكَّر إرميا النبي حين اختاره اللّه ليرسله نبيًّا إلى الشعب. أجاب الربّ قائلاً: «أيُّها السيِّد الربّ، لا أعرف أن أتكلَّم لأنّي صبيّ»، فقال الربّ: «لا تقل: إنّي صبيّ، فإنّي لكلّ ما أرسلك إليه تنطلق، وكلّ ما آمرك به تقوله» (إرميا ١/٦ - ٧).

وعندما أمر الربّ موسى أن يذهب إلى فرعون، طلب إلى الربّ أن يرسل هارون أخاه، لأنّه هو لا يعرف أن يتكلَّم. لكنّ الربّ تمسَّك بأن يرسل موسى وطمأنه بأنّه هو الربّ الذي سيتكلَّم بفمه (خروج ٣).

وقد نمرّ بالحالة نفسها، عندما نخاف فيتوقَّف عمل الرسالة. ولكن لماذا نتصوَّر أنّ الكاهن وحده هو الذي يعمل ويبشِّر وينشر ملكوت المسيح؟ ولماذا يتنحَّى العلمانيّون؟ أليس جميعًا من كلّ فئة وجنس نكوِّن الكنيسة؟ فلا تقل: إنّي صبيّ، كما قال إرميا، فالربّ معك وروح الربّ عليك. لقد نلت خيرات وبركات، وحصلت على قدر من الثقافة، واستمعت إلى العديد من المحاضرات، فلا ينبغي أن تدفن كلّ هذا في باطنك، بل عليك أن تنشر رسالة المسيح حولك.

أعرف شابًّا يقوم بتدريس الرياضيَّات والعلوم في أربع مدارس

coptic-books.blogspot.com

للراهبات، وقد استمع إلى محاضرات ألقيتها، واستوعبها جيّدًا. وهو الآن يقوم بإلقائها ونشر الرسالة التي فيها، بعد أن اقتنع شخصيًّا بها. فيجمع مرّة في الأسبوع حوالى مائة شخص ليحمل إليهم رسالة الخلاص، وذلك رغم حداثة سنّه، إذ هو في السابعة والعشرين، ورغم الإرهاق الذي يعانيه من التدريس، إلى جانب مشقّة التأليف، إذ إنّه ينشر سنويًّا كتابَين أو ثلاثة في العلوم والرياضيّات. فالبرغم من هذه المسؤوليّات، يجد الوقت لينشر أسبوعيًّا رسالة المسيح وإنجيل الخلاص. فمن أين تأتيه هذه الشجاعة والثبات؟... إنّه يشعر بأنّ روح اللّه هو الذي ينطق بلسانه، ويعترف بأنّه كثيرًا ما يأتي إلى الاجتماع من دون أن يعدّ الموضوع الذي سيتحدّث عنه، ومع ذلك فإنّه، حين يبدأ، تتزاحم الأفكار في ذهنه وينطلق من فمه الكلام، كما أنّه يعترف بعمل روح اللّه في ما يقوله. فبصفته فردًا عاديًّا من أفراد الشعب المؤمن، يكون كلامه مسموعًا ومؤثّرًا أكثر من كلام الكاهن الذي يتحدّث انطلاقًا من رسالته الكهنوتيّة.

وأتساءل الآن: لماذا لا نرى مثل هذه المبادرات هنا وفي كلّ رعيّة وفي كلّ بلدة؟ لماذا لا نجد بين الشعب المسيحيّ مَن يتخلّص من الخوف وينشر رسالة الخلاص في حدود إمكانيّاته ويبشّر باسم المسيح في محيطه، مهما كان محدودًا؟ إعتمدوا على اللّه، فالربّ معكم.

نحن لا نأخذ، مع الأسف، دعوتنا على محمل الجدّ، ولا نعي أنّنا أبناء اللّه. وقد نظنّ أنّها لفظ مجازيّ. نحن أبناء اللّه، وينبغي أن نؤمن بهذا: «أنظروا أيّة محبّة أحبّنا الآب حتّى نُدعى ونكون أبناء اللّه» (١ يوحنّا/ ٣ - ١).

إنّ معجزة التجسّد الإلهيّ في أحشاء مريم تتكرّر فينا دائمًا، إذ إنّ اللّه يقول مبشّرًا كلاًّ منّا ببشرى الفرح: الربّ معك»، روح اللّه ستحلّ عليك وقوّة العلي تظلّلك» (لوقا ١/٣٥). لكنّنا نتردّد مع ذلك، ويقول كلّ منّا: كيف يكون ذلك؟ مَن أنا؟ لماذا؟ هذا أمر مستحيل وغير مستطاع. وحينما

coptic-books.blogspot.com

نقول: «لا، هذا محال»، فإنّه يصبح فعلاً كذلك، ولكن إذا قلت: «نعم»، يصبح الأمر مستطاعًا، لأنّه ليس هناك مستحيل عند اللّه. ومَن نحن حتّى نضع بمفاهيمنا وبتفكيرنا حدودًا لمقدرة اللّه ولِما يستطيع أن يعمله في حياتنا؟

يعاني معظم الناس الخوف، ومَن منّا لا يشعر به؟ وقد كنت أعانيه كثيرًا، لكنّي الآن لم أعد أخاف، لأنّي نسيت نفسي. فالخوف يأتي من النظرة إلى النفس والشكّ في قدرتها وإدراك ضعفها. نخاف أن نعمل، نخاف أن نبتسم، نخاف أن نتكلّم، نخاف أن ننطق، نخاف من الآخرين، ومن الحياة والمجتمع، وهذا الخوف هو مرض يشلّ الحركة ويقيِّد المبادرة.

ولذلك فإنّ الكلمة الأولى التي يخاطب بها اللّه الإنسان في كلّ مرّة يريد أن يحقِّق أمرًا أو تدبيرًا من خلاله هي: «لا تخف» «لا تخافي يا مريم». والآن أُريد أن أُكرِّرها لكلّ واحد منكم ولكلّ مَن يقيِّده الخوف، وأُبشِّر مناديًا بأعلى صوتي: «لا تخف»، «الربّ معك». واعلم أنّك ما دمتَ تنظر إلى ذاتك في مرآة وتفكِّر فيها، ستستمرّ في الشكّ، ولن تستطيع شيئًا لأنّك تعتمد على نفسك. ولكن عندما أجابت مريم: «ها أنا أَمَة الربّ» (لو ١/٣٨)، تمَّت فيها المعجزة وتجسَّد ابن اللّه في أحشائها. وبعد قليل، رنَّمت عند أليصابات معترفةً بنعم اللّه وعظمة قدرته: «لأنّه نظر إلى تواضع أمته، فها منذ الآن تطوِّبني جميع الأجيال، لأنّ القدير صنع بي عظائم» (لوقا ١/٤٨، ٤٩).

هوذا القدير قد صنع العظائم في مريم العذراء، فلماذا لا يصنع العظائم في كلّ واحد منّا، لو أراد؟ ربّما نفكّر في أنّنا ضعفاء، ولكن اللّه يحتاج إلى الضعيف ليحقِّق به ما هو عظيم، ولقد اختار رسله من بين الضعفاء، ولم يختر فلاسفةَ أثينة أو عظماء رومة، أو المثقَّفين، بل اختار الفقراء والجهلاء والضعفاء ليصنع فيهم العظائم، فتجلّى مجده في ضعف الإنسان.

أذكر شابًّا كان يفكِّر في الترهُّب واختيار رهبانيَّة الآباء اليسوعيِّين، لكنَّه كان يتراجع معتقدًا بأنّه غير مستحقّ أن يكون فيها، فكنت أجيبه: وهل تظنّ أنّي أنا كنت مستحقًّا لأن أحمل اسم يسوع وأكون من أبناء الرهبانيَّة اليسوعيَّة؟ فأنا لست أفضل منك.

coptic-books.blogspot.com

هذه التجربة تعرقل كلّ خير، إذ إنّها تجعل الإنسان يفكّر في أنّه غير أهل وغير مستحقّ، فيتراجع عن تلبية نداء الربّ. فمَن هو الإنسان الذي يمكننا أن نسمّيه مستحقًّا درجة الكهنوت أو ما يدعوه الربّ إليه؟ ومَن الذي يستحقّ أن يتناول جسد الربّ؟ أو يتقرَّب إليه؟ وإذا وُجد مَن يظنّ نفسه أهلاً للتناول وقبول جسد الربّ، فمثل هذا لا يحقّ له أن يقترب من المائدة المقدَّسة، وعليه أن يظلّ بعيدًا عنها.

إنّ الإيمان باللّه يحلّ مشكلة الخوف والقلق وجميع أمراض العصر التي تقيّد الإنسان، وتنخر عظامه، وتشلّ حركته وإرادته، ويناديه: «لا تخف، الربّ معك»، هلمَّ اذهب حيث يريدك الربّ: ليملأك الرجاء.

وذلك، لأنّ الإيمان باللّه هو إيمان بالذات. وإن لم تؤدِّ ثقتنا باللّه إلى الثقة بأنفسنا، فليس هناك إيمان حقيقيّ باللّه، بل هو إيمان كاذب. أمّا الإيمان القويّ فإنّه يجعلنا نؤمن بأنّنا نستطيع كلّ شيء باللّه الذي يقوّينا، فهو الذي يعمل فينا وبنا، رغم ما نراه ونلمسه في أنفسنا من ضعف. إنّ الكبرياء تعوق الإيمان والثقة باللّه التي بها نقوى على كلّ شيء: «أستطيع كلّ شيء في الذي يقوّيني» (فل ٤/١٣) نعم، إنّي أستطيع كلّ شيء ولا أخاف من أحد؟ لماذا؟ مَن أنا؟ أنا لا شيء، ولكنّي أحصل على هذه الثقة والشجاعة عن طريق الإيمان والرجاء.

فالإيمان باللّه هو إيمان بالإنسان أيضًا، وبأنّ كلاًّ منّا يستطيع أن يعمل شيئًا، كما أنّ الإيمان باللّه هو إيمان بالكنيسة أيضًا وبالجماعة المسيحيّة التي أنتمي إليها، وهو إيمان بإمكانيّاتنا وقدراتنا وبالمعجزة التي يحقّقها اللّه فينا وبنا.

إنّي أومن بأنّ اللّه، بالتجسُّد في أحشاء مريم، قد دخل في حياة كلّ إنسان ولن يخرج منها. فهو لم يأتِ على الأرض زائرًا يفارقنا بعد حين، بل هو معنا وسيبقى معنا للأبد: «أنا معكم إلى منتهى الدهر» (متّى ٢٨/٢٠).

لقد التصق اللّه بتاريخ البشر واتّحد بكلّ إنسان من خلال معجزة التجسُّد في أحشاء مريم، حيث بدأت وحقّقت مفعولها فيها، وستواصل

coptic-books.blogspot.com

نقول: «لا، هذا محال»، فإنّه يصبح فعلاً كذلك، ولكن إذا قلت: «نعم»، يصبح الأمر مستطاعًا، لأنّه ليس هناك مستحيل عند اللّه. ومَن نحن حتّى نضع بمفاهيمنا وبتفكيرنا حدودًا لمقدرة اللّه ولِما يستطيع أن يعمله في حياتنا؟

يعاني معظم الناس الخوف، ومَن منّا لا يشعر به؟ وقد كنت أعانيه كثيرًا، لكنّي الآن لم أعد أخاف، لأنّي نسيت نفسي. فالخوف يأتي من النظرة إلى النفس والشكّ في قدرتها وإدراك ضعفها. نخاف أن نعمل، نخاف أن نبتسم، نخاف أن نتكلّم، نخاف أن ننطق، نخاف من الآخرين، ومن الحياة والمجتمع، وهذا الخوف هو مرض يشلّ الحركة ويقيّد المبادرة.

ولذلك فإنّ الكلمة الأولى التي يخاطب بها اللّه الإنسان في كلّ مرّة يريد أن يحقّق أمرًا أو تدبيرًا من خلاله هي: «لا تخف» «لا تخافي يا مريم». والآن أُريد أن أُكرّرها لكلّ واحد منكم ولكلّ مَن يقيّده الخوف، وأُبشّر مناديًا بأعلى صوتي: «لا تخف»، «الربّ معك». واعلم أنّك ما دمتَ تنظر إلى ذاتك في مرآة وتفكّر فيها، ستستمرّ في الشكّ، ولن تستطيع شيئًا لأنّك تعتمد على نفسك. ولكن عندما أجابت مريم: «ها أنا أمَة الربّ» (لو ١/٣٨)، تمّت فيها المعجزة وتجسّد ابن اللّه في أحشائها. وبعد قليل، رنّمت عند أليصابات معترفةً بنعم اللّه وعظمة قدرته: «لأنّه نظر إلى تواضع أمته، فها منذ الآن تطوّبني جميع الأجيال، لأنّ القدير صنع بي عظائم» (لوقا ١/٤٨، ٤٩).

هوذا القدير قد صنع العظائم في مريم العذراء، فلماذا لا يصنع العظائم في كلّ واحد منّا، لو أراد؟ ربّما نفكّر في أنّنا ضعفاء، ولكن اللّه يحتاج إلى الضعيف ليحقّق به ما هو عظيم، ولقد اختار رسله من بين الضعفاء، ولم يختر فلاسفةَ أثينة أو عظماء رومة، أو المثقّفين، بل اختار الفقراء والجهلاء والضعفاء ليصنع فيهم العظائم، فتجلّى مجده في ضعف الإنسان.

أذكر شابًّا كان يفكّر في الترهُّب واختيار رهبانيّة الآباء اليسوعيّين، لكنّه كان يتراجع معتقدًا بأنّه غير مستحقّ أن يكون فيها، فكنت أجيبه: وهل تظنّ أنّي أنا كنت مستحقًّا لأن أحمل اسم يسوع وأكون من أبناء الرهبانيّة اليسوعيّة؟ فأنا لست أفضل منك.

coptic-books.blogspot.com

هذه التجربة تعرقل كلّ خير، إذ إنّها تجعل الإنسان يفكّر في أنّه غير أهل وغير مستحقّ، فيتراجع عن تلبية نداء الربّ. فمَن هو الإنسان الذي يمكننا أن نسمّيه مستحقًّا درجة الكهنوت أو ما يدعوه الربّ إليه؟ ومَن الذي يستحقّ أن يتناول جسد الربّ؟ أو يتقرّب إليه؟ وإذا وُجد مَن يظنّ نفسه أهلاً للتناول وقبول جسد الربّ، فمثل هذا لا يحقّ له أن يقترب من المائدة المقدّسة، وعليه أن يظلّ بعيدًا عنها.

إنّ الإيمان باللّه يحلّ مشكلة الخوف والقلق وجميع أمراض العصر التي تقيّد الإنسان، وتنخر عظامه، وتشلّ حركته وإرادته، ويناديه: «لا تخف، الربّ معك»، هلمَّ اذهب حيث يريدك الربّ: ليملأك الرجاء.

وذلك، لأنّ الإيمان باللّه هو إيمان بالذات. وإن لم تؤدِّ ثقتنا باللّه إلى الثقة بأنفسنا، فليس هناك إيمان حقيقيّ باللّه، بل هو إيمان كاذب. أمّا الإيمان القويّ فإنّه يجعلنا نؤمن بأنّنا نستطيع كلّ شيء باللّه الذي يقوّينا، فهو الذي يعمل فينا وبنا، رغم ما نراه ونلمسه في أنفسنا من ضعف. إنّ الكبرياء تعوق الإيمان والثقة باللّه التي بها نقوى على كلّ شيء: «أستطيع كلّ شيء في الذي يقوّيني» (فل ٤/١٣) نعم، إنّي أستطيع كلّ شيء ولا أخاف من أحد؟ لماذا؟ مَن أنا؟ أنا لا شيء، ولكنّي أحصل على هذه الثقة والشجاعة عن طريق الإيمان والرجاء.

فالإيمان باللّه هو إيمان بالإنسان أيضًا، وبأنّ كلاًّ منّا يستطيع أن يعمل شيئًا، كما أنّ الإيمان باللّه هو إيمان بالكنيسة أيضًا وبالجماعة المسيحيّة التي أنتمي إليها، وهو إيمان بإمكانيّاتنا وقدراتنا وبالمعجزة التي يحقّقها اللّه فينا وبنا.

إنّي أومن بأنّ اللّه، بالتجسّد في أحشاء مريم، قد دخل في حياة كلّ إنسان ولن يخرج منها. فهو لم يأتِ على الأرض زائرًا يفارقنا بعد حين، بل هو معنا وسيبقى معنا للأبد: «أنا معكم إلى منتهى الدهر» (متّى ٢٨/٢٠).

لقد التصق اللّه بتاريخ البشر واتّحد بكلّ إنسان من خلال معجزة التجسّد في أحشاء مريم، حيث بدأت وحقّقت مفعولها فيها، وستواصل

coptic-books.blogspot.com

تحقيقه في كلّ إنسان لأنّ اللّه مع البشريَّة للأبد، يعمل فيها بقوّته الفائقة. ولذلك يُعتبر القرن العشرون - هو قرن اكتشاف الإنسان - يُعتبر أعظم تسبيح وتمجيد للّه تعالى الذي يريدنا أن ننمو ونتقدَّم باستمرار وبلا توقّف من خلال ما نشهده من تطوّر في الأبحاث والاكتشاف والعلوم. ولا مفرّ للإنسان من ذلك، لأنّه يحمل في داخله روح اللّه الذي يريد أن يسير معه حتّى الكمال الكلّيّ والنهائيّ، لأنّ التجسُّد كان انفجارًا إلهيًّا حدث في الإنسان، وما زال يعمل، وسيظلّ يعمل فيه حتّى يبلغ به إلى ملء قامته.

أومن بقدرات الإنسان كفرد، والإنسان كجماعة، وبناء على هذا الإيمان، فعندي آمال كبيرة في نفسي وفي غيري، ولي رجاء وتطلُّعات محدودة. وإذا كان الإسلام هو دين الفطرة أو الطبيعة، فهو على مستوى الإنسان. أمّا المسيحيَّة فهي فوق الفطرة وفوق الطبيعة وفوق الإنسان.

المسيحيَّة دعوة إلى التفوُّق المستمرّ

قد تشعرون بالحرج والحيرة أمام العقائد المسيحيَّة التي هي تفوق التصوُّر البشريّ، كالثالوث والتجسُّد والمسيح ابن اللّه والعذراء مريم. وقد يتمنّى بعضنا دينًا معقولاً حتّى يستطيع أن يفهمه ويشرحه للآخرين.

ونظرًا إلى أنّ الدين المسيحيّ هو أساسًا غير معقول، فأنا مؤمن به لكونه غير معقول. ولو كان على مستواي أنا، لكنت رفضته، لأنّي لا أريد دينًا على مستواي أنا. فإنّ دينًا على مستوى الإنسان لا أقبله، بل أريد دينًا يشدّني دائمًا إلى فوق. وكلّما فهمت فيه شيئًا يكشف لي أنّني لم أفهم شيئًا بعد، ويقودني إلى أبعد وأبعد، وأظلّ كذلك مشدودًا إلى الأعالي. وأُحاول وأظلّ أحاول، ولن أستطيع يومًا ما أن أقول إنّني قد فهمت المسيحيَّة.

لكن، عندما أدخل في منطق المسيحيَّة، أبدأ في اكتشاف حكمة تُعَدّ حماقة لدى الناس. وهذه الحكمة هي التي أريدها. ولذلك كانت المسيحيَّة

coptic-books.blogspot.com

وستظلّ قوّة دافعة للبشريّة وللانسانيّة، وللتقدُّم، فهي دعوة إلى التفوُّق المستمرّ. فأيّ دين من الأديان أعلن أنّ الإنسان هو ابن اللّه إلاّ المسيحيّة؟ ابن اللّه، اللّه ابن البشر، أنا ابن اللّه، ولكن اللّه ابن البشر... تبادل غريب. وعندما نتوغّل فيه، نردِّد: هذا معقول وغير معقول في الوقت نفسه. ويبدأ فينا شعور بالارتياح لحقيقة الرجاء المسيحيّ.

coptic-books.blogspot.com

تحقيقه في كلّ إنسان لأنّ اللّه مع البشريَّة للأبد، يعمل فيها بقوّته الفائقة. ولذلك يُعتبر القرن العشرون ـ هو قرن اكتشاف الإنسان ـ يُعتبر أعظم تسبيح وتمجيد للّه تعالى الذي يريدنا أن ننمو ونتقدَّم باستمرار وبلا توقّف من خلال ما نشهده من تطوّر في الأبحاث والاكتشاف والعلوم. ولا مفرّ للإنسان من ذلك، لأنّه يحمل في داخله روح اللّه الذي يريد أن يسير معه حتّى الكمال الكلّيّ والنهائيّ، لأنّ التجسُّد كان انفجارًا إلهيًّا حدث في الإنسان، وما زال يعمل، وسيظلّ يعمل فيه حتّى يبلغ به إلى ملء قامته.

أومن بقدرات الإنسان كفرد، والإنسان كجماعة، وبناء على هذا الإيمان، فعندي آمال كبيرة في نفسي وفي غيري، ولي رجاء وتطلُّعات محدودة. وإذا كان الإسلام هو دين الفطرة أو الطبيعة، فهو على مستوى الإنسان. أمّا المسيحيَّة فهي فوق الفطرة وفوق الطبيعة وفوق الإنسان.

المسيحيَّة دعوة إلى التفوُّق المستمرّ

قد تشعرون بالحرج والحيرة أمام العقائد المسيحيَّة التي هي تفوق التصوُّر البشريّ، كالثالوث والتجسُّد والمسيح ابن اللّه والعذراء مريم. وقد يتمنّى بعضنا دينًا معقولاً حتّى يستطيع أن يفهمه ويشرحه للآخرين.

ونظرًا إلى أنّ الدين المسيحيّ هو أساسًا غير معقول، فأنا مؤمن به لكونه غير معقول. ولو كان على مستواي أنا، لكنت رفضته، لأنّي لا أريد دينًا على مستواي أنا. فإنّ دينًا على مستوى الإنسان لا أقبله، بل أريد دينًا يشدّني دائمًا إلى فوق. وكلّما فهمت فيه شيئًا يكشف لي أنّني لم أفهم شيئًا بعد، ويقودني إلى أبعد وأبعد، وأظلّ كذلك مشدودًا إلى الأعالي. وأحاول وأظلّ أحاول، ولن أستطيع يومًا ما أن أقول إنّني قد فهمت المسيحيَّة.

لكن، عندما أدخل في منطق المسيحيَّة، أبدأ في اكتشاف حكمة تُعَدّ حماقة لدى الناس. وهذه الحكمة هي التي أريدها. ولذلك كانت المسيحيَّة

coptic-books.blogspot.com

وستظلّ قوّة دافعة للبشريَّة وللانسانيَّة، وللتقدُّم، فهي دعوة إلى التفوُّق المستمرّ. فأيّ دين من الأديان أعلن أنّ الإنسان هو ابن اللّه إلاَّ المسيحيَّة؟ ابن اللّه، اللّه ابن البشر، أنا ابن اللّه، ولكن اللّه ابن البشر... تبادل غريب. وعندما نتوغّل فيه، نردِّد: هذا معقول وغير معقول في الوقت نفسه. ويبدأ فينا شعور بالارتياح لحقيقة الرجاء المسيحيّ.

coptic-books.blogspot.com

الرجاء ومسيرة نحو النضوج الشخصيّ

لا محطّة وصول في اكتشاف أبعادنا الداخليَّة

يفكِّر الإنسان أحيانًا أنّ حقيقته النهائيَّة هي ما هو عليه الآن، كعندما أرى شخصًا يُدعى نبيلاً، كما أعرفه بملامحه وهيئته وسلوكه الخارجيّ، وكما يعرف نفسه، حين ينظر إليها في المرآة. ولكن أريد أن أقول له: أنت لم تصبح ذاتك حتى اليوم، أو: لم تحقّق ذاتك حتّى اليوم. وقد يتصوَّر كلّ منّا أنّه قد وصل إلى أقصى ما يمكن في اكتشافه لأبعاده الباطنيّة، ولكن لم يصل أحد. فليس هناك محطّة وصول نستطيع أن نقول عندها إنّنا قد وصلنا إلى آخر محطّة. وكذلك لا يستطيع أحد أن يتصوَّر مثلاً في أثناء هذه القراءة أنّه قد وصل أخيرًا إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه من النموّ والتقدُّم. فليس هناك وصول نهائيّ، ولكن التحرّك كان خطوة. وهذه حقيقة يجب أن ننتبه إليها.

هناك في أعماق أنفسنا أبعاد واسعة لم تظهر بعد، وكياني الذي ظهر حتّى الآن هو كيان بدائيّ، أي أنّه لا شيء بالنسبة إلى الكيان الذي لم يظهر بعد، وأحبّ أن أُشبِّهه في ذلك بمثل جبل الجليد، وهو قطعة من الثلوج انفصلت عن جدار القطب الشماليّ أو الجنوبيّ وتطفو فوق سطح البحر. وعندما تقترب منها سفينة، تبدو أمامها ضخمة كالجبل، ولكن هذا الجزء الظاهر لا يقاس ببقيّة القطعة الأكثر ضخامة وغير الظاهرة والمغمورة تحت سطح البحر.

coptic-books.blogspot.com

فالإنسان يشبه جبل الجليد، إذ يظهر من كيانه جزء صغير. فإذا رأيت أمامي شخصًا ما وقلت: هذا نبيل أو هذا رضا، وجب أن أعرف أنّ لا هذا نبيل ولا ذاك رضا بكامل كيانهما، بل هو جزء صغير منهما. فمَن ذا الذي يستطيع أن يستوعب أبعاد الإنسان؟ أنت أكثر بكثير من الذي تتصوَّره عن نفسك أو ما يتصوَّره الآخرون عنك. وأنت تُخبئ أو تحوي في باطنك ما هو أكثر كثيرًا من الذي تُظهره. وما تُظهره هو أجزاء تافهة سطحيَّة ومجرَّد قشرة خارجيَّة. فينبغي أوَّلاً أن يدرك الإنسان هذه الحقيقة ويعيها ويعترف بها، وإلاَّ توقَّف نموّ شخصيَّته وكيانه عند حدّ معيَّن، إذا ظلّ يعتقد بأنّ كيانه الحقيقيّ النهائيّ محصور في واقعه الآن.

طباع الإنسان قابلة للتغيير

وثمَّة حقيقة أخرى، وهي أنّ طباع الإنسان قابلة للتغيير، على عكس ما يعتقد غالبيَّة الناس بأنّ الطبع لا يمكن أن يتغيَّر. فنسمع مَن يقول: «أنا طبعي هذا»، «أنا عصبيّ»، «أنا خجول»، «أنا انطوائيّ». ماذا أفعل؟ «ربّنا خلقني هكذا».

ولكنّي اكتشفت في الإنسان شيئًا أعمق من الطباع وهو «الروح» أو «الحياء الروحيّ». ومن طريق الروح، يمكن للطبع أن يتغيَّر وأن يُحدث تغييرًا شاملاً في الإنسان كلّه.

ومن خلال خبرتي الشخصيَّة، لاحظت أنّني كنت عصبيًّا أوَّلَ سنة تولَّيت فيها مسؤوليَّة القسم الإعداديّ، وأتذكَّر عدد المرّات التي كنت أثور فيها شهريًّا أو أسبوعيًّا أو يوميًّا. ولاحظت أنّني، سنةً بعد سنة، تدريجيًّا، تغيَّرت تمامًا وأصبحت هادئ الطبع، حتّى إنّني كنت أقوم بمجهود في نفسي لأنفعل أو أرفع صوتي. فكنت أفعل ذلك بناءً على قرار اتَّخذته في موقف يحتاج إلى حزم. فكان هذا الغضب غير ناتج عن عصبيَّة أو انفعال. وبذلك لاحظت فيَّ قدرة مستمرّة على التغيّر حتّى اليوم. وهذا يُعدّ أحد أهداف

coptic-books.blogspot.com

الرجاء ومسيرة نحو النضوج الشخصيّ

لا محطّة وصول في اكتشاف أبعادنا الداخليَّة

يفكِّر الإنسان أحيانًا أنّ حقيقته النهائيَّة هي ما هو عليه الآن، كعندما أرى شخصًا يُدعى نبيلاً، كما أعرفه بملامحه وهيئته وسلوكه الخارجيّ، وكما يعرف نفسه، حين ينظر إليها في المرآة. ولكن أريد أن أقول له: أنت لم تصبح ذاتك حتى اليوم، أو: لم تحقّق ذاتك حتّى اليوم. وقد يتصوَّر كلّ منّا أنّه قد وصل إلى أقصى ما يمكن في اكتشافه لأبعاده الباطنيّة، ولكن لم يصل أحد. فليس هناك محطّة وصول نستطيع أن نقول عندها إنّنا قد وصلنا إلى آخر محطّة. وكذلك لا يستطيع أحد أن يتصوَّر مثلاً في أثناء هذه القراءة أنّه قد وصل أخيرًا إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه من النموّ والتقدُّم. فليس هناك وصول نهائيّ، ولكن التحرّك كان خطوة. وهذه حقيقة يجب أن ننتبه إليها.

هناك في أعماق أنفسنا أبعاد واسعة لم تظهر بعد، وكياني الذي ظهر حتّى الآن هو كيان بدائيّ، أي أنّه لا شيء بالنسبة إلى الكيان الذي لم يظهر بعد، وأحبّ أن أُشبِّهه في ذلك بمثل جبل الجليد، وهو قطعة من الثلوج انفصلت عن جدار القطب الشماليّ أو الجنوبيّ وتطفو فوق سطح البحر. وعندما تقترب منها سفينة، تبدو أمامها ضخمة كالجبل، ولكن هذا الجزء الظاهر لا يقاس ببقيّة القطعة الأكثر ضخامة وغير الظاهرة والمغمورة تحت سطح البحر.

coptic-books.blogspot.com

فالإنسان يشبه جبل الجليد، إذ يظهر من كيانه جزء صغير. فإذا رأيت أمامي شخصًا ما وقلت: هذا نبيل أو هذا رضا، وجب أن أعرف أنّ لا هذا نبيل ولا ذاك رضا بكامل كيانهما، بل هو جزء صغير منهما. فمَن ذا الذي يستطيع أن يستوعب أبعاد الإنسان؟ أنت أكثر بكثير من الذي تتصوَّره عن نفسك أو ما يتصوَّره الآخرون عنك. وأنت تُخبئ أو تحوي في باطنك ما هو أكثر كثيرًا من الذي تُظهره. وما تُظهره هو أجزاء تافهة سطحيَّة ومجرَّد قشرة خارجيَّة. فينبغي أوَّلاً أن يدرك الإنسان هذه الحقيقة ويعيها ويعترف بها، وإلاَّ توقَّف نموّ شخصيَّته وكيانه عند حدّ معيَّن، إذا ظلّ يعتقد بأنّ كيانه الحقيقيّ النهائيّ محصور في واقعه الآن.

طباع الإنسان قابلة للتغيير

وثمَّة حقيقة أخرى، وهي أنّ طباع الإنسان قابلة للتغيير، على عكس ما يعتقد غالبيَّة الناس بأنّ الطبع لا يمكن أن يتغيَّر. فنسمع مَن يقول: «أنا طبعي هذا»، «أنا عصبيّ»، «أنا خجول»، «أنا انطوائيّ». ماذا أفعل؟ «ربّنا خلقني هكذا».

ولكنّي اكتشفت في الإنسان شيئًا أعمق من الطباع وهو «الروح» أو «الحياء الروحيّ». ومن طريق الروح، يمكن للطبع أن يتغيَّر وأن يُحدث تغييرًا شاملاً في الإنسان كلّه.

ومن خلال خبرتي الشخصيَّة، لاحظت أنّني كنت عصبيًّا أوَّلَ سنة تولَّيت فيها مسؤوليَّة القسم الإعداديّ، وأتذكَّر عدد المرّات التي كنت أثور فيها شهريًّا أو أسبوعيًّا أو يوميًّا. ولاحظت أنّني، سنةً بعد سنة، تدريجيًّا، تغيَّرت تمامًا وأصبحت هادئ الطبع، حتّى إنّني كنت أقوم بمجهود في نفسي لأنفعل أو أرفع صوتي. فكنت أفعل ذلك بناءً على قرار اتَّخذته في موقف يحتاج إلى حزم. فكان هذا الغضب غير ناتج عن عصبيَّة أو انفعال. وبذلك لاحظت فيَّ قدرة مستمرّة على التغيّر حتّى اليوم. وهذا يُعدّ أحد أهداف

coptic-books.blogspot.com

الاستعراض اليوميّ الذي أقوم به في آخر اليوم، لأنظر إلى حياتي وأتّخذ فيها قرارات بناءً على النقاط التي يمكنني إصلاحها.

وقد يعتقد الإنسان بأنّ الطباع تتحدَّد عند بلوغ سنّ الحادية والعشرين، أو تثبت عند النضوج في سنّ الثلاثين، أو أنّ الشخصيَّة تكتمل عند الأربعين. ولكنّنا في الواقع في تغيّر مستمرّ حتَّى سنّ التسعين. فليس هناك سنّ معيّنة يتوقّف عندها النموّ. والإنسان في حالة نموّ مستمرّ، أي في حالة تطوُّر وتقدُّم وتغيير. ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يقول: «أنا كذلك، فاقبلني كما أنا. لا، لن أقبلك كما أنت، أريدك أفضل، لأنَّه لا توقّف في النموّ، وكلّ توقّف في النموّ هو موت، وهو المفهوم الطبّيّ للموت».

إنطلق لتُولَد مرّة أخرى بإرادتك

وبمجرّد أن تدرك حقيقة الأبعاد الواسعة الكائنة في أعماق كيانك، ستبدأ الانطلاق في حياة جديدة، من خلال الأبعاد التي ستكتشفها لتُولَد مرّة أخرى.

مَن مِنَّا وُلد؟ فالولادة حركة مستمرَّة لم تنته بعد. لقد تمَّت الولادة الأولى بالأجساد كحيوانات، ولكن الولادة الثانية للإنسان هي الولادة الذاتيَّة له كبني آدم. وتلك هي ولادتي الحقيقيَّة التي أتولاَّها بكياني أنا، بحرِّيَّتي أنا، بإرادتي أنا.

قف... وابحث عن مفتاح كيانك الباطنيّ

وعندما تفهم ذلك، ينبغي أن تحدث قفزة، انطلاقة صادرة عن شيء ما في أعماق كيانك يمكن أن تشبِّهه «بالمفلات» الذي يندفع إذا ضغط الإنسان عليه، ليفتح بابًا. وقد يكون هذا الباب هو الذي يعوق نموّنا ويجعلنا نتوقّف عند ما نحن عليه. فهناك، في داخل كلّ واحد منّا، منطقة معيَّنة من شخصيّته أو حياته يجب أن يبحث عنها وأن يضغط عليها حتّى تنفتح،

coptic-books.blogspot.com

وذلك بأن يتساءل: أين هي النقطة الحسّاسة من حياتي، التي تمنعني من أن أنطلق؟ تلك النقطة التي أخاف منها وأخشى أن أُواجهها مواجهة صريحة، لأنّي أشعر بأنّني، لو لمستها لصرخت؟ ولذلك أظلّ في «اللفّ والدوران»، في محاولة للهروب، كما يفعل المريض عندما يعرض نفسه على الطبيب ولا يحدِّد له موضعًا معيَّنًا للألم، محاولاً تشتيته وتضليله نحو عدّة مواضع، وإبعاده عن ذلك الموضع الذي، إذا لمسه الطبيب، سبَّب الشعور بالألم.

ونحن نفعل أحيانًا كذلك، عندما نخشى أن نضع إصبعنا على النقطة الحسّاسة حتّى لا نشعر بالألم، تلك النقطة التي لو قرّرنا أن نضغط عليها، كانت لنا بداية التحرّر، وهي التي يجب أن نبحث عنها، فنتساءل ما هي النقطة الأساسيَّة التي أرفضها منذ سنين ولا أُريد أن أنظر إليها، وأصمِّم على تجاهلها في حياتي؟ وهي، في الوقت نفسه، شرط أساسيّ لينفتح الباب. وأين هو «المفلات» أو الزرّ الذي يجب أن أضغط عليه؟ أين هي النقطة الحسّاسة فيَّ؟

وهذا ما نجده في قصص الأطفال الأسطوريَّة، عندما يتمّ الضغط على أحد الأزرار، فتنفتح الصخرة بفعل النداء السحريّ وكلمة السرّ: «إفتح يا سُمسُم»، فيدخل بطل القصَّة إلى دهليز ضيِّق يسير فيه بحذر، ثمَّ يصل إلى سرداب طويل ينتهي إلى غرفة واسعة يكتشف في داخلها كنوزًا خياليَّة مختبئة، لم يكن يتصوّرها، فتثير دهشته وإعجابه، ثمّ تنتهي به هذه الغرفة إلى غرفة أخرى مليئة بأنواع جديدة من الكنوز، تنتهي به إلى أخرى، متَّجهًا إلى عمق الجبل. وهكذا يسير بين الغرف والكنوز، متنقِّلاً من إعجاب إلى إعجاب.

واكتشف كنوز قلبك

هناك كنوز وكنوز تكمن داخلَ قلوبكم وكيانكم، لم تكتشفوها بعد، وثروات وقِيَم، لا يجوز أن تظلّ مختبئة، لا ندري بها، كما نفعل حين نجلس

coptic-books.blogspot.com

الاستعراض اليوميّ الذي أقوم به في آخر اليوم، لأنظر إلى حياتي وأتّخذ فيها قرارات بناءً على النقاط التي يمكنني إصلاحها.

وقد يعتقد الإنسان بأنّ الطباع تتحدَّد عند بلوغ سنّ الحادية والعشرين، أو تثبت عند النضوج في سنّ الثلاثين، أو أنّ الشخصيَّة تكتمل عند الأربعين. ولكنّنا في الواقع في تغيّر مستمرّ حتَّى سنّ التسعين. فليس هناك سنّ معيّنة يتوقّف عندها النموّ. والإنسان في حالة نموّ مستمرّ، أي في حالة تطوُّر وتقدُّم وتغيير. ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يقول: «أنا كذلك، فاقبلني كما أنا. لا، لن أقبلك كما أنت، أريدك أفضل، لأنَّه لا توقّف في النموّ، وكلّ توقّف في النموّ هو موت، وهو المفهوم الطبّيّ للموت».

إنطلق لتُولَد مرّة أخرى بإرادتك

وبمجرّد أن تدرك حقيقة الأبعاد الواسعة الكائنة في أعماق كيانك، ستبدأ الانطلاق في حياة جديدة، من خلال الأبعاد التي ستكتشفها لتُولَد مرّة أخرى.

مَن مِنَّا وُلد؟ فالولادة حركة مستمرَّة لم تنته بعد. لقد تمَّت الولادة الأولى بالأجساد كحيوانات، ولكن الولادة الثانية للإنسان هي الولادة الذاتيَّة له كبني آدم. وتلك هي ولادتي الحقيقيَّة التي أتولاَّها بكياني أنا، بحرِّيَّتي أنا، بإرادتي أنا.

قف... وابحث عن مفتاح كيانك الباطنيّ

وعندما تفهم ذلك، ينبغي أن تحدث قفزة، انطلاقة صادرة عن شيء ما في أعماق كيانك يمكن أن تشبِّهه «بالمفلات» الذي يندفع إذا ضغط الإنسان عليه، ليفتح بابًا. وقد يكون هذا الباب هو الذي يعوق نموّنا ويجعلنا نتوقّف عند ما نحن عليه. فهناك، في داخل كلّ واحد منّا، منطقة معيَّنة من شخصيّته أو حياته يجب أن يبحث عنها وأن يضغط عليها حتّى تنفتح،

coptic-books.blogspot.com

وذلك بأن يتساءل: أين هي النقطة الحسّاسة من حياتي، التي تمنعني من أن أنطلق؟ تلك النقطة التي أخاف منها وأخشى أن أُواجهها مواجهة صريحة، لأنّي أشعر بأنّني، لو لمستها لصرخت؟ ولذلك أظلّ في «اللفّ والدوران»، في محاولة للهروب، كما يفعل المريض عندما يعرض نفسه على الطبيب ولا يحدِّد له موضعًا معيَّنًا للألم، محاولاً تشتيته وتضليله نحو عدّة مواضع، وإبعاده عن ذلك الموضع الذي، إذا لمسه الطبيب، سبَّب الشعور بالألم.

ونحن نفعل أحيانًا كذلك، عندما نخشى أن نضع إصبعنا على النقطة الحسّاسة حتّى لا نشعر بالألم، تلك النقطة التي لو قرّرنا أن نضغط عليها، كانت لنا بداية التحرّر، وهي التي يجب أن نبحث عنها، فنتساءل ما هي النقطة الأساسيَّة التي أرفضها منذ سنين ولا أُريد أن أنظر إليها، وأصمِّم على تجاهلها في حياتي؟ وهي، في الوقت نفسه، شرط أساسيّ لينفتح الباب. وأين هو «المفلات» أو الزرّ الذي يجب أن أضغط عليه؟ أين هي النقطة الحسّاسة فيَّ؟

وهذا ما نجده في قصص الأطفال الأسطوريَّة، عندما يتمّ الضغط على أحد الأزرار، فتنفتح الصخرة بفعل النداء السحريّ وكلمة السرّ: «إفتح يا سُمسُم»، فيدخل بطل القصَّة إلى دهليز ضيِّق يسير فيه بحذر، ثمَّ يصل إلى سرداب طويل ينتهي إلى غرفة واسعة يكتشف في داخلها كنوزًا خياليَّة مختبئة، لم يكن يتصوّرها، فتثير دهشته وإعجابه، ثمّ تنتهي به هذه الغرفة إلى غرفة أخرى مليئة بأنواع جديدة من الكنوز، تنتهي به إلى أخرى، متَّجهًا إلى عمق الجبل. وهكذا يسير بين الغرف والكنوز، متنقِّلاً من إعجاب إلى إعجاب.

واكتشف كنوز قلبك

هناك كنوز وكنوز تكمن داخلَ قلوبكم وكيانكم، لم تكتشفوها بعد، وثروات وقِيَم، لا يجوز أن تظلّ مختبئة، لا ندري بها، كما نفعل حين نجلس

coptic-books.blogspot.com

فوق أرض مليئة بالذهب ونحن لا ندري. وقد تظلّ هذه الثروة غير مستغلّة إلى أخر يوم من حياتنا، لأنّه لم يقل لنا أحد: إفتح، وانظر، ولا تخف. وكونوا على يقين بأنّه، بقدر عطائكم للآخرين، تكتشفون هذه الأبعاد، لأنّها لا تُكتشف إلاّ من خلال العطاء. ولكن إن حاولتم أن تكتشفوها من أجل أنفسكم، لن تعثروا عليها. ولكنّها تظهر بقدر ما تُشركون غيركم فيها. وأنا أعيش هذا الاختبار في كلّ رياضة ألقيها. فكلّما أتكلّم وأُشرك وأُعطي، أدهش، لأنّي اكتشفت في داخلي أشياء جديدة مختبئة، ولم أكن أدري بها، فهي ينبوع متدفّق، ذلك الذي تكلّم عنه المسيح: مَن آمن بي، وجد في نفسه ينابيع ماء متدفّقة للحياة الأبديَّة.

لا تضحك على مثال سارة

تتذكّرون قصّة سارة زوجة إبراهيم، التي كانت تبلغ من العمر ٧٠ عامًا، حين جاء اللّه إلى إبراهيم بصورة ثلاثة أشخاص جلسوا معه على عتبة الخيمة، وأخبروه في أثناء العشاء أنّه سيكون له ابن من سارة. وكانت سارة تخدم وراء الخيمة، فسمعت ذلك الكلام وضحكت، لأنّها تخطّت بشريًّا سنّ الإنجاب. فقالوا لها: لماذا ضحكتِ، يا سارة؟ فأجابت أنّها لم تضحك، فقالوا: بل ضحكتِ، ولذلك سيسمّى ابنك «إسحق» بمعنى «ضحك». وبعد ذلك انتظرت سارة سنة، وخمس سنوات، وعشر سنوات، ولم يأت الابن، إلى أن مرّت خمس وعشرون سنة، أي أنّ اللّه انتظر أن يتلاشى الأمل من الناحية الطبيعيَّة تمامًا. وأخيرًا جاءها ابنها «إسحق»، لأنّه ما من شيء مستحيل عند اللّه، فكانت معجزة الإيمان.

ينبغي أن تتنبه إلى أنّ إيمانك بنفسك وبقدراتك وإمكانيّاتك ومواهبك هو جزء من إيمانك باللّه الذي أودعك إيّاها. وإن آمنت بها، ترى المستحيلات تخرج منك، لذلك فلا تضحك كسارة. وإذا اعتقدت أنّك عقيم، فإنّ إيمانك باللّه يحتاج إلى مراجعة.

coptic-books.blogspot.com

فنحن غير مؤمنين بأنفسنا، وأُريد أن أقول لكلّ مَن يعتذر بأنّه خجول، أو بأنّ لديه عقدة أو عدم مقدرة، أو بأنّه يحتاج إلى فترة انتظار ليكتمل تكوينه: آمن بنفسك وبقدراتك، لأنّه من الممكن أن تكون أكثر بكثير ممّا أنت عليه.

«أيُّها الشابّ لك أقول: قم»

وانتهز فرصة هذه القراءة لتبدأ حركة نهوض وانطلاق وحلّ لعقدة الخوف والشكّ، لأنّهما نقيضان للإيمان، وعندما أتكلّم عن الإيمان، أعني التغلُّب على الشكّ، سواء أكان في نفسي أم في غيري، لأنّ الشكّ قاتل. وعلى العكس فإنّ القدرة على الانطلاق هي التي اعتبرها شبابًا أو شبيبة، لأنّ الشباب ليس هو مرحلة من العمر، بل هو القدرة على النهوض والانطلاق. فهناك أشخاص في سنّ الثمانين ولكنَّهم شباب، وهناك شباب في سنّ العشرين ولكنَّهم كالعجوز، مكبَّلين بقيود الخوف والشكّ والخجل. وسيظلُّون طوال حياتهم هكذا مثل المومياء المكفَّنة في لفائف. ولكن المسيح ينادي: «يا لعازر قُم»، حلّوه من هذه اللفائف ودعوه ينطلق. وأنا اليوم أردّد باسمه النداء نفسه: «أيّها الشابّ، لك أقول: قم، إنهض، تحرَّك، سر، ولا تحتجّ بطول الفترة التي مرّت بك وأنت مكبَّل، مثلما قالوا إنّ لعازر مضى عليه أربعة أيّام في القبر، لا تخف. لنتذكّر كلمات المسيح في تلك المناسبة: «أنا القيامة والحياة، مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا».

لنحلّ تلك اللفائف ولنتحرَّك ونخرج من القبور التي نعيش فيها ولا ندري، ولنقم من ذلك الرقاد والسبات والموت. فهناك الكثير من الشباب يعيشون هذه الحالة ويعتبرون أنفسهم شبابًا، لكنّي أعود فأُكرِّر أنّ الشباب ليس هو مرحلة من العمر.

والآن أدعوك إلى تذكُّر ما كنت تحلم أن تحقّقه منذ طفولتك، ثمَّ في شبابك، ثمَّ في نضوجك. ماذا كنت تريد لنفسك؟ ربَّما تقول: كنت أريد كذا أو كذا، ولكن...

coptic-books.blogspot.com

فوق أرض مليئة بالذهب ونحن لا ندري. وقد تظلّ هذه الثروة غير مستغلّة إلى أخر يوم من حياتنا، لأنّه لم يقل لنا أحد: إفتح، وانظر، ولا تخف. وكونوا على يقين بأنّه، بقدر عطائكم للآخرين، تكتشفون هذه الأبعاد، لأنّها لا تُكتشف إلاّ من خلال العطاء. ولكن إن حاولتم أن تكتشفوها من أجل أنفسكم، لن تعثروا عليها. ولكنّها تظهر بقدر ما تُشركون غيركم فيها. وأنا أعيش هذا الاختبار في كلّ رياضة ألقيها. فكلّما أتكلّم وأُشرك وأُعطي، أدهش، لأنّي اكتشفت في داخلي أشياء جديدة مختبئة، ولم أكن أدري بها، فهي ينبوع متدفّق، ذلك الذي تكلّم عنه المسيح: مَن آمن بي، وجد في نفسه ينابيع ماء متدفّقة للحياة الأبديَّة.

لا تضحك على مثال سارة

تتذكّرون قصّة سارة زوجة إبراهيم، التي كانت تبلغ من العمر ٧٠ عامًا، حين جاء اللّه إلى إبراهيم بصورة ثلاثة أشخاص جلسوا معه على عتبة الخيمة، وأخبروه في أثناء العشاء أنّه سيكون له ابن من سارة. وكانت سارة تخدم وراء الخيمة، فسمعت ذلك الكلام وضحكت، لأنّها تخطّت بشريًّا سنّ الإنجاب. فقالوا لها: لماذا ضحكتِ، يا سارة؟ فأجابت أنّها لم تضحك، فقالوا: بل ضحكتِ، ولذلك سيسمّى ابنك «إسحق» بمعنى «ضحك». وبعد ذلك انتظرت سارة سنة، وخمس سنوات، وعشر سنوات، ولم يأت الابن، إلى أن مرّت خمس وعشرون سنة، أي أنّ اللّه انتظر أن يتلاشى الأمل من الناحية الطبيعيَّة تمامًا. وأخيرًا جاءها ابنها «إسحق»، لأنّه ما من شيء مستحيل عند اللّه، فكانت معجزة الإيمان.

ينبغي أن تتنبه إلى أنّ إيمانك بنفسك وبقدراتك وإمكانيّاتك ومواهبك هو جزء من إيمانك باللّه الذي أودعك إيّاها. وإن آمنت بها، ترى المستحيلات تخرج منك، لذلك فلا تضحك كسارة. وإذا اعتقدت أنّك عقيم، فإنّ إيمانك باللّه يحتاج إلى مراجعة.

coptic-books.blogspot.com

فنحن غير مؤمنين بأنفسنا، وأُريد أن أقول لكلّ مَن يعتذر بأنّه خجول، أو بأنّ لديه عقدة أو عدم مقدرة، أو بأنّه يحتاج إلى فترة انتظار ليكتمل تكوينه: آمن بنفسك وبقدراتك، لأنّه من الممكن أن تكون أكثر بكثير ممّا أنت عليه.

«أيُّها الشابّ لك أقول: قم»

وانتهز فرصة هذه القراءة لتبدأ حركة نهوض وانطلاق وحلّ لعقدة الخوف والشكّ، لأنّهما نقيضان للإيمان، وعندما أتكلّم عن الإيمان، أعني التغلُّب على الشكّ، سواء أكان في نفسي أم في غيري، لأنّ الشكّ قاتل. وعلى العكس فإنّ القدرة على الانطلاق هي التي اعتبرها شبابًا أو شبيبة، لأنّ الشباب ليس هو مرحلة من العمر، بل هو القدرة على النهوض والانطلاق. فهناك أشخاص في سنّ الثمانين ولكنَّهم شباب، وهناك شباب في سنّ العشرين ولكنَّهم كالعجوز، مكبَّلين بقيود الخوف والشكّ والخجل. وسيظلُّون طوال حياتهم هكذا مثل المومياء المكفَّنة في لفائف. ولكن المسيح ينادي: «يا لعازر قُم»، حلّوه من هذه اللفائف ودعوه ينطلق. وأنا اليوم أردّد باسمه النداء نفسه: «أيّها الشابّ، لك أقول: قم، إنهض، تحرَّك، سر، ولا تحتجّ بطول الفترة التي مرّت بك وأنت مكبَّل، مثلما قالوا إنّ لعازر مضى عليه أربعة أيّام في القبر، لا تخف. لنتذكّر كلمات المسيح في تلك المناسبة: «أنا القيامة والحياة، مَن آمن بي، وإن مات، فسيحيا».

لنحلّ تلك اللفائف ولنتحرَّك ونخرج من القبور التي نعيش فيها ولا ندري، ولنقم من ذلك الرقاد والسبات والموت. فهناك الكثير من الشباب يعيشون هذه الحالة ويعتبرون أنفسهم شبابًا، لكنّي أعود فأُكرِّر أنّ الشباب ليس هو مرحلة من العمر.

والآن أدعوك إلى تذكُّر ما كنت تحلم أن تحقّقه منذ طفولتك، ثمَّ في شبابك، ثمَّ في نضوجك. ماذا كنت تريد لنفسك؟ ربَّما تقول: كنت أريد كذا أو كذا، ولكن...

coptic-books.blogspot.com

آمن باللّه وأنعش فيك الرجاء بأنّ حلمك سيتحوَّل إلى واقع. هلمَّ اعمل وانطلق، فستحقِّق حتمًا شيئًا أعظم ممَّا كنتَ تحلم به. وإذا كنت تشعر بأنّك مقيَّد وخائف وتفتقر إلى الشجاعة والحرِّيَّة، فتذكّر قول الإنجيل: «فإن حرَّركم الابن، صرتم أحرارًا حقًّا» (يو ٨/٣٦).

إنّ الإيمان بتحرير الابن يتعمَّق في اللحظة التي يكتشف الإنسان فيها نفسه عاجزًا ومفتقرًا إلى الحرِّيَّة، فيسلِّم نفسه إلى الربّ بالإيمان العميق والرجاء في عمله. وعندئذٍ تعمل فيه نعمة التحويل والتغيير، محدثةً فيه نهوضًا وانطلاقة يستنشق فيها نسيم الحرِّيَّة، وقفزة صاعدة وعودة إلى شباب الروح: «إنّ المولود للجسد إنّما هو جسد، والمولود للروح إنّما هو روح» (يوحنَّا ٣/ ٦).

وهكذا ينبغي أن نكتشف من الآن سرَّ الحياة، وأن نعيش حياتنا بامتلاء، وأن نشعر بالأمل والرجاء، وبأن نؤمن بأنفسنا وبالحياة وبالإمكانيَّات المتاحة لنا.

إنّ كلّ صباح هو بداية لصفحة وحياة جديدة وانطلاقة نحو مشاريع تملأ وتثري يومي الجديد. وهنا أُردِّد كلمات غريغوريوس النيقاوي: «ننطلق من بداية إلى بداية نحو بدايات لا نهاية لها»، وكلمة الكاردينال كاردجن الذي أنشأ الشبيبة العاملة المسيحيَّة: «نحن باستمرار في البداية».

coptic-books.blogspot.com

ونعود إلى عالمنا بعيون ووعود جديدة

ها أنا أجعل كلّ شيء جديدًا

لدينا صورتان في الكتاب المقدَّس عن أواخر العالم. إحداهما تشاؤميَّة في إنجيل متَّى عن خراب ودمار ونار ونجوم تنسحق على الأرض إلخ. والأخرى مشرقة في رؤيا يوحنَّا (الفصلان ٢١ و ٢٢). ولنتأمّل معًا بعض النصوص من الرؤيا ٢١:

« ثمَّ رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة، لأنّ السماء الأولى والأرض الأولى زالتا، وما بقي للبحر من وجود. وأنا يوحنَّا رأيت المدينة المقدَّسة، أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند اللّه، كعروس تزيَّنت واستعدَّت للقاء عريسها. وسمعت صوتًا عظيمًا من العرش يقول: «ها هو مسكن اللّه والناس: يسكن معهم ويكونون له شعبًا. اللّه نفسه معهم، ويكون لهم إلهًا. يمسح كلّ دمعة تسيل من عيونهم، ولا يبقى موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع، لأنّ الأشياء القديمة زالت. وقال الجالس على العرش: «ها أنا أجعل كلّ شيء جديدًا». ثمَّ قال لي: «أكتب: هذا الكلام صدق وحقّ». وقال لي: «تمَّ كلّ شيء». أنا الألف والياء، البداية والنهاية، أنا أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجَّانًا. مَن غلب، يرث كلّ هذا وأكون له إلهًا ويكون لي ابنًا «...» وجاءني أحد الملائكة السبعة الذين معهم الكؤوس السبع الممتلئة بالنكبات السبع الأخيرة، وقال لي: «تعالَ فأُريك العروس، امرأة الحَمَل». «فحملني

coptic-books.blogspot.com

آمن باللّه وأنعش فيك الرجاء بأنّ حلمك سيتحوَّل إلى واقع. هلمَّ اعمل وانطلق، فستحقِّق حتمًا شيئًا أعظم ممَّا كنتَ تحلم به. وإذا كنت تشعر بأنّك مقيَّد وخائف وتفتقر إلى الشجاعة والحرِّيَّة، فتذكّر قول الإنجيل: «فإن حرَّركم الابن، صرتم أحرارًا حقًّا» (يو ٨/٣٦).

إنّ الإيمان بتحرير الابن يتعمَّق في اللحظة التي يكتشف الإنسان فيها نفسه عاجزًا ومفتقرًا إلى الحرِّيَّة، فيسلِّم نفسه إلى الربّ بالإيمان العميق والرجاء في عمله. وعندئذٍ تعمل فيه نعمة التحويل والتغيير، محدثةً فيه نهوضًا وانطلاقة يستنشق فيها نسيم الحرِّيَّة، وقفزة صاعدة وعودة إلى شباب الروح: «إنّ المولود للجسد إنّما هو جسد، والمولود للروح إنّما هو روح» (يوحنَّا ٣/ ٦).

وهكذا ينبغي أن نكتشف من الآن سرَّ الحياة، وأن نعيش حياتنا بامتلاء، وأن نشعر بالأمل والرجاء، وبأن نؤمن بأنفسنا وبالحياة وبالإمكانيَّات المتاحة لنا.

إنّ كلّ صباح هو بداية لصفحة وحياة جديدة وانطلاقة نحو مشاريع تملأ وتثري يومي الجديد. وهنا أُردِّد كلمات غريغوريوس النيقاوي: «ننطلق من بداية إلى بداية نحو بدايات لا نهاية لها»، وكلمة الكاردينال كاردجن الذي أنشأ الشبيبة العالمة المسيحيَّة: «نحن باستمرار في البداية».

coptic-books.blogspot.com

ونعود إلى عالمنا بعيون ووعود جديدة

ها أنا أجعل كلّ شيء جديدًا

لدينا صورتان في الكتاب المقدَّس عن أواخر العالم. إحداهما تشاؤميَّة في إنجيل متَّى عن خراب ودمار ونار ونجوم تنسحق على الأرض إلخ. والأخرى مشرقة في رؤيا يوحنَّا (الفصلان ٢١ و ٢٢). ولنتأمّل معًا بعض النصوص من الرؤيا ٢١:

« ثمَّ رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة، لأنّ السماء الأولى والأرض الأولى زالتا، وما بقي للبحر من وجود. وأنا يوحنَّا رأيت المدينة المقدَّسة، أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند اللّه، كعروس تزيَّنت واستعدَّت للقاء عريسها. وسمعت صوتًا عظيمًا من العرش يقول: «ها هو مسكن اللّه والناس: يسكن معهم ويكونون له شعبًا. اللّه نفسه معهم، ويكون لهم إلهًا. يمسح كلّ دمعة تسيل من عيونهم، ولا يبقى موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع، لأنّ الأشياء القديمة زالت. وقال الجالس على العرش: «ها أنا أجعل كلّ شيء جديدًا». ثمَّ قال لي: «أكتب: هذا الكلام صدق وحقّ». وقال لي: «تمَّ كلّ شيء». أنا الألف والياء، البداية والنهاية، أنا أُعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجَّانًا. مَن غلب، يرث كلّ هذا وأكون له إلهًا ويكون لي ابنًا «...» وجاءني أحد الملائكة السبعة الذين معهم الكؤوس السبع الممتلئة بالنكبات السبع الأخيرة، وقال لي: «تعالَ فأُريك العروس، امرأة الحَمَل». «فحملني

coptic-books.blogspot.com

بالروح إلى جبل عظيم شاهق وأراني أورشليم، المدينة المقدَّسة، نازلة من السماء من عند اللّه... وعليها هالة مجد اللّه، وكانت تتلألأ كحجرٍ كريم نادر يشبه اليشب النقيّ كالبلّور، ولها سور عظيم شامخ له اثنا عشر بابًا، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكًا، وفيها أسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر: من الشرق ثلاثة أبواب، ومن الشمال ثلاثة أبواب، ومن الجنوب ثلاثة أبواب، ومن الغرب ثلاثة أبواب». «وكان سور المدينة قائمًا على اثني عشر أساسًا وعلى كلّ واحد منها اسم من أسماء رسل الحَمَل الاثني عشر... وكان الملاك الذي يخاطبني يُمسك قصبة من الذهب ليقيس بها المدينة وأبوابها وسورها. والمدينة مربَّعة، طولها يساوي عرضها. فقاسها بالقصبة، فإذا هي ألف وخمسمائة ميل، يتساوى فيها الطول والعرض والعلو.

« ثمَّ قاس سورها، فإذا هو مئة وأربع وأربعون ذراعًا بطول ذراع الإنسان، كما استعمله الملاك. وكان السور مبنيًّا باليشب، والمدينة بالذهب الخالص كأنّه الزجاج النقيّ، وكانت أسس سور المدينة مرصَّعة بجميع أنواع الجواهر. فالأساس الأوَّل يشب والثاني ياقوت أزرق، والثالث عقيق أبيض، والرابع زمرد، والخامس عقيق قاتم، والسادس عقيق أحمر، والسابع زبرجد، والثامن جزع، والتاسع ياقوت أصفر، والعاشر عقيق أخضر، والحادي عشر فيروز، والثاني عشر جمشت. وكانت الأبواب اثنتي عشرة لؤلؤة، كلّ باب منها لؤلؤة، وساحة المدينة من ذهب خالص شفّاف كالزجاج، وما رأيت هيكلاً في المدينة، لأنّ الربّ الإله القدير والحمل هما هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى نور الشمس والقمر، لأنّ مجد اللّه ينيرها والحمل هو مصباحها. تتمشّى الأمم في نورها، ويحمل ملوك الأرض مجدهم وكرامتهم إليها. لا تُغلق أبوابها طوال اليوم، لأنّه لا ليل فيها. ويأتون إليها بمجد الأمم وكرامتها، ولا يدخلها شيء نجس، ولا الذين يعملون القبائح ويفترون الكذب، بل الذين أسماؤهم مكتوبة في كتاب الحياة، كتاب الحمل.

«ثمَّ أراني الملاك نهر الحياة صافيًا كالبلّور، ينبع من عرش اللّه والحمل، ويجري في وسط ساحة المدينة، وعلى ضفّتَيه شجرة الحياة تثمر اثنتي عشرة

coptic-books.blogspot.com

مرّة، كلّ شهر مرّة، وتشفي بورقها الأمم. لا لعن بعد اليوم. عرش اللّه والحمل يقوم في المدينة، فيسجد له عباده ويشاهدون وجهه، ويكون اسمه على جباههم. لا ليل هناك، فلا يحتاجون إلى ضوء مصباح أو شمس، لأنّ الربّ الإله يكون نورهم، وهم سيملكون أبد الدهور».

نجد في نصوص رؤيا يوحنّا أورشليم، المدينة المقدَّسة الجديدة، موصوفة بأسلوب رمزيّ بالصور والتشابيه، وهي تعني في الكتاب المقدَّس الأرض في حالة تجديد نهائيّ، عندما تبلغ قمّتها. فلن تكون أرضًا ثانية، بل هي أرضنا، ولكن بثوبها الجديد. إنّ أورشليم هي رمز لهذه الأرض الجديدة والبشريَّة الجديدة التي ستكون في النهاية، بأبوابها الكثيرة التي تدلّ على أنّ المدينة ستكون مفتوحةً للجميع من الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما أنّ قياساتها تدلّ على اكتمالها، وكذلك قياس سورها الذي يبلغ مئة وأربعًا وأربعين زراعًا، أي نتيجة ضرب الرقم ١٢ بـ ١٢ . وكلّنا يعلم أنّ رقم ١٢ يدلّ على الكمال، كأسباط إسرائيل الاثني عشر، وتلاميذ المسيح الاثني عشر، وعدد أبواب المدينة. ولذلك، عندما يُضرب هذا الرقم بنفسه، يدلّ على الكمال الأكمل الذي ليس بعده كمال.

وكل ذلك يشير إلى أنّ نهاية العالم ليست عمليَّة بَتْر في نموّ الخليقة، وليست حادثًا طارئًا في مسيرة الكون. ستأتي نهاية العالم في ساعتها كتكامل لحركة تصاعديَّة ارتقائيَّة بلغت ذروتها. وهذا ما يقصده الكتاب المقدَّس حين يتكلَّم عن بلوغ ملء قامة المسيح.

لذلك فتلك الأحداث المخيفة التي يتحدَّث عنها الإنجيل في نهاية العالم ما هي إلاّ مؤشِّرات لحالة الأرض النهائيَّة التي تتمخَّض بآلام الولادة كالمرأة التي بلغ شهرها التاسع. وليس البُعد القائم والسلبيّ لنهاية العالم إلاّ وجهًا من وجوه الحقيقة التي هي ولادة الأرض الجديدة من خلال حركة انتقاليَّة عسيرة لا تدلّ على موت، بل على حياة.

نهاية العالم هي إذًا بداية العالم الجديد وتحوّله إلى صورة نهائية أبديَّة إلهيَّة.

coptic-books.blogspot.com

بالروح إلى جبل عظيم شاهق وأراني أورشليم، المدينة المقدَّسة، نازلة من السماء من عند اللّه... وعليها هالة مجد اللّه، وكانت تتلألأ كحجرٍ كريم نادر يشبه اليشب النقيّ كالبلّور، ولها سور عظيم شامخ له اثنا عشر بابًا، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكًا، وفيها أسماء مكتوبة هي أسماء أسباط بني إسرائيل الاثني عشر: من الشرق ثلاثة أبواب، ومن الشمال ثلاثة أبواب، ومن الجنوب ثلاثة أبواب، ومن الغرب ثلاثة أبواب». «وكان سور المدينة قائمًا على اثني عشر أساسًا وعلى كلّ واحد منها اسم من أسماء رسل الحَمَل الاثني عشر... وكان الملاك الذي يخاطبني يُمسك قصبة من الذهب ليقيس بها المدينة وأبوابها وسورها. والمدينة مربَّعة، طولها يساوي عرضها. فقاسها بالقصبة، فإذا هي ألف وخمسمائة ميل، يتساوى فيها الطول والعرض والعلو.

« ثمَّ قاس سورها، فإذا هو مئة وأربع وأربعون ذراعًا بطول ذراع الإنسان، كما استعمله الملاك. وكان السور مبنيًّا باليشب، والمدينة بالذهب الخالص كأنّه الزجاج النقيّ، وكانت أسس سور المدينة مرصَّعة بجميع أنواع الجواهر. فالأساس الأوَّل يشب والثاني ياقوت أزرق، والثالث عقيق أبيض، والرابع زمرد، والخامس عقيق قاتم، والسادس عقيق أحمر، والسابع زبرجد، والثامن جزع، والتاسع ياقوت أصفر، والعاشر عقيق أخضر، والحادي عشر فيروز، والثاني عشر جمشت. وكانت الأبواب اثنتي عشرة لؤلؤة، كلّ باب منها لؤلؤة، وساحة المدينة من ذهب خالص شفّاف كالزجاج، وما رأيت هيكلاً في المدينة، لأنّ الربّ الإله القدير والحمل هما هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى نور الشمس والقمر، لأنّ مجد اللّه ينيرها والحمل هو مصباحها. تتمشّى الأمم في نورها، ويحمل ملوك الأرض مجدهم وكرامتهم إليها. لا تُغلق أبوابها طوال اليوم، لأنّه لا ليل فيها. ويأتون إليها بمجد الأمم وكرامتها، ولا يدخلها شيء نجس، ولا الذين يعملون القبائح ويفترون الكذب، بل الذين أسماؤهم مكتوبة في كتاب الحياة، كتاب الحمل.

«ثمَّ أراني الملاك نهر الحياة صافيًا كالبلَّور، ينبع من عرش اللّه والحمل، ويجري في وسط ساحة المدينة، وعلى ضفّتَيه شجرة الحياة تثمر اثنتي عشرة

coptic-books.blogspot.com

مرّة، كلّ شهر مرّة، وتشفي بورقها الأمم. لا لعن بعد اليوم. عرش اللّه والحمل يقوم في المدينة، فيسجد له عباده ويشاهدون وجهه، ويكون اسمه على جباههم. لا ليل هناك، فلا يحتاجون إلى ضوء مصباح أو شمس، لأنّ الربّ الإله يكون نورهم، وهم سيملكون أبد الدهور».

نجد في نصوص رؤيا يوحنّا أورشليم، المدينة المقدَّسة الجديدة، موصوفة بأسلوب رمزيّ بالصور والتشابيه، وهي تعني في الكتاب المقدَّس الأرض في حالة تجديد نهائيّ، عندما تبلغ قمّتها. فلن تكون أرضًا ثانية، بل هي أرضنا، ولكن بثوبها الجديد. إنّ أورشليم هي رمز لهذه الأرض الجديدة والبشريَّة الجديدة التي ستكون في النهاية، بأبوابها الكثيرة التي تدلّ على أنّ المدينة ستكون مفتوحةً للجميع من الشرق والغرب والشمال والجنوب، كما أنّ قياساتها تدلّ على اكتمالها، وكذلك قياس سورها الذي يبلغ مئة وأربعًا وأربعين زراعًا، أي نتيجة ضرب الرقم ١٢ بـ ١٢ . وكلّنا يعلم أنّ رقم ١٢ يدلّ على الكمال، كأسباط إسرائيل الاثني عشر، وتلاميذ المسيح الاثني عشر، وعدد أبواب المدينة. ولذلك، عندما يُضرب هذا الرقم بنفسه، يدلّ على الكمال الأكمل الذي ليس بعده كمال.

وكل ذلك يشير إلى أنّ نهاية العالم ليست عمليَّة بَتْر في نموّ الخليقة، وليست حادثًا طارئًا في مسيرة الكون. ستأتي نهاية العالم في ساعتها كتكامل لحركة تصاعديَّة ارتقائيَّة بلغت ذروتها. وهذا ما يقصده الكتاب المقدَّس حين يتكلَّم عن بلوغ ملء قامة المسيح.

لذلك فتلك الأحداث المخيفة التي يتحدَّث عنها الإنجيل في نهاية العالم ما هي إلاّ مؤشِّرات لحالة الأرض النهائيَّة التي تتمخَّض بآلام الولادة كالمرأة التي بلغ شهرها التاسع. وليس البُعد القائم والسلبيّ لنهاية العالم إلاّ وجهًا من وجوه الحقيقة التي هي ولادة الأرض الجديدة من خلال حركة انتقاليَّة عسيرة لا تدلّ على موت، بل على حياة.

نهاية العالم هي إذًا بداية العالم الجديد وتحوّله إلى صورة نهائية أبديَّة إلهيَّة.

coptic-books.blogspot.com

وهكذا نجد في رؤيا الرجاء النهائيّ أنّ النهار سيشمل كلّ شيء، وأنّ الشمس التي سبق أن تحدَّثت عنها ستكون هي السائدة، فلن يكون هناك ليل، لأنّ الظلام والشرّ ومملكة الشيطان التي يرمز إليها الليل ستنقلب نهائيًا وسيُشرق النور أبد الدهور.

coptic-books.blogspot.com

تأمّـل

ولنتأمّل الآن معًا في كلمات شارل بيغي CHARLES PÉGUY: «إنّ الذي يُدهشني هو الرجاء. قال اللّه: إنّه لَمِن المدهش فعلاً أن يرى هؤلاء الأطفال ـ أطفال البشر ـ كلّ ما يجري ويحدث من شرّ في هذا العالم، ويؤمنون في الوقت نفسه بأنّ الغد سيكون أفضل. إنّهم يرون الأشرار والأبرار في هذه الدنيا ويؤمنون بأنّ غدًا ستسير الأشياء على طريقة أفضل. فهذا ما يُدهشني، وإنّني لا أجد في ذلك أعظم معجزة لنعمتي... فلا بدَّ أن تكون نعمتي قويَّة وخارقة وأن تخرج من ينبوع متدفِّق لا نهاية لمياهه، ذلك الينبوع، وتلك المياه، وذلك النهر الفائض الذي يجري منذ البداية في خليقتي الطبيعيَّة وغير الطبيعيَّة، في خليقتي الروحيَّة ثمَّ الجسديَّة ثمَّ الروحيَّة أيضًا، في خليقتي الأزليَّة ثمَّ الزمنيَّة ثمَّ الأبديَّة، ذلك الينبوع الذي انبثق يومًا على قمّة الجلجلة من صدر ابني المطعون بالحربة... إنّ نعمتي لعظيمة... وقوَّة نعمتي لعظيمة... حتّى إنّ هذا الرجاء الصغير المتذبذب برياح الخطيئة والمرتعش بعواصف هذا العالم، هذا الرجاء الرقيق والحسَّاس لأدنى نفحة، يستطيع أن يقف منتصبًا قائمًا ومستقيمًا ومخلِّصًا ونقيًّا. هذا الرجاء لا يستطيع شيء أن يقهره ولا يفنيه أو ينفيه أو يطفئه، مثل تلك الشعلة الصغيرة التي تنير في ظلام الهياكل لتعلن أنّ حقّ اللّه يدوم للأبد، وأنّ وفاء اللّه لأبد الدهور.

الرجاء شعلة متذبذبة اخترقت ظلمات العالمين، شعلة مرتعشة اخترقت ظلمات الليالي، منذ تلك الوهلة الأولى التي تدفّقت فيها نعمتي عند خلق

coptic-books.blogspot.com

وهكذا نجد في رؤيا الرجاء النهائيّ أنّ النهار سيشمل كلّ شيء، وأنّ الشمس التي سبق أن تحدَّثت عنها ستكون هي السائدة، فلن يكون هناك ليل، لأنّ الظلام والشرّ ومملكة الشيطان التي يرمز إليها الليل ستنقلب نهائيًّا وسيُشرق النور أبد الدهور.

coptic-books.blogspot.com

تأمّـل

ولنتأمّل الآن معًا في كلمات شارل بيغي CHARLES PÉGUY: «إنّ الذي يُدهشني هو الرجاء. قال اللّه: إنّه لَمِن المدهش فعلاً أن يرى هؤلاء الأطفال ـ أطفال البشر ـ كلّ ما يجري ويحدث من شرّ في هذا العالم، ويؤمنون في الوقت نفسه بأنّ الغد سيكون أفضل. إنّهم يرون الأشرار والأبرار في هذه الدنيا ويؤمنون بأنّ غدًا ستسير الأشياء على طريقة أفضل. فهذا ما يُدهشني، وإنّني لا أجد في ذلك أعظم معجزة لنعمتي... فلا بدَّ أن تكون نعمتي قويَّة وخارقة وأن تخرج من ينبوع متدفِّق لا نهاية لمياهه، ذلك الينبوع، وتلك المياه، وذلك النهر الفائض الذي يجري منذ البداية في خليقتي الطبيعيَّة وغير الطبيعيَّة، في خليقتي الروحيَّة ثمَّ الجسديَّة ثمَّ الروحيَّة أيضًا، في خليقتي الأزليَّة ثمَّ الزمنيَّة ثمَّ الأبديَّة، ذلك الينبوع الذي انبثق يومًا على قمّة الجلجلة من صدر ابني المطعون بالحربة... إنّ نعمتي لعظيمة... وقوَّة نعمتي لعظيمة... حتّى إنّ هذا الرجاء الصغير المتذبذب برياح الخطيئة والمرتعش بعواصف هذا العالم، هذا الرجاء الرقيق والحسَّاس لأدنى نفحة، يستطيع أن يقف منتصبًا قائمًا ومستقيمًا ومخلِّصًا ونقيًّا. هذا الرجاء لا يستطيع شيء أن يقهره ولا يفنيه أو ينفيه أو يطفئه، مثل تلك الشعلة الصغيرة التي تنير في ظلام الهياكل لتعلن أنّ حقّ اللّه يدوم للأبد، وأنّ وفاء اللّه لأبد الدهور.

الرجاء شعلة متذبذبة اخترقت ظلمات العالمين، شعلة مرتعشة اخترقت ظلمات الليالي، منذ تلك الوهلة الأولى التي تدفّقت فيها نعمتي عند خلق

coptic-books.blogspot.com

العالم. فمنذ الأزل وإلى أبد الدهور تسري نعمتي للحفاظ على هذا العالم، منذ ذلك اليوم الذي تدفّقت فيه نعمتي من صدر ابني لخلاص البشر.

منذئذٍ هناك شعلة لا يستطيع شيء أن يُطفئها، ولا يقدر مخلوق أن يُخمدها، لأنّ تلك الشعلة هي أبقى من الزمن، وأقوى من الموت».

coptic-books.blogspot.com

فهرس المحتويات

الفصل الأول: الأمل والرجاء في الطبيعة

لنتطلّع إلى الشمس

وراء الغيوم القاتمة شمس ساطعة ٧

مع الشمس دائماً نحن على موعد ٧

شروق الشمس وحتميّة حبّ اللّه ٨

لا أزمة طاقة تحت الشمس ٨

عيد الشمس وميلاد المسيح ١٢

العودة إلى الطبيعة

نحو نظرة تأمُّليّة أمام الطبيعة ١٣

لنفتح صفحة جديدة كلّ يوم ١٥

ولنتذوّق صباح الخير ١٦

الرجاء يغزو الكون على مدى التاريخ

إنتصار الخير في النهاية ١٨

«ثقوا، فقد غلبت العالم» ٢٥

صلاة ٢٩

الفصل الثاني: الأمل والرجاء في الإنسان

«من الأعماق صرخت إليك، يا ربّ»

عندما تكون الصلاة صرخة رجاء ٣٣

رجاء رغم الخطيئة ٣٨

coptic-books.blogspot.com

العالم. فمنذ الأزل وإلى أبد الدهور تسري نعمتي للحفاظ على هذا العالم، منذ ذلك اليوم الذي تدفّقت فيه نعمتي من صدر ابني لخلاص البشر.

منذئذٍ هناك شعلة لا يستطيع شيء أن يُطفئها، ولا يقدر مخلوق أن يُخمدها، لأنّ تلك الشعلة هي أبقى من الزمن، وأقوى من الموت».

coptic-books.blogspot.com

فهرس المحتويات

الفصل الأول: الأمل والرجاء في الطبيعة

لنتطلّع إلى الشمس

وراء الغيوم القاتمة شمس ساطعة ٧

مع الشمس دائماً نحن على موعد ٧

شروق الشمس وحتميّة حبّ اللّه ٨

لا أزمة طاقة تحت الشمس ٨

عيد الشمس وميلاد المسيح ١٢

العودة إلى الطبيعة

نحو نظرة تأمُّليّة أمام الطبيعة ١٣

لنفتح صفحة جديدة كلّ يوم ١٥

ولنتذوّق صباح الخير ١٦

الرجاء يغزو الكون على مدى التاريخ

إنتصار الخير في النهاية ١٨

«ثقوا، فقد غلبت العالم» ٢٥

صلاة ٢٩

الفصل الثاني: الأمل والرجاء في الإنسان

«من الأعماق صرخت إليك، يا ربّ»

عندما تكون الصلاة صرخة رجاء ٣٣

رجاء رغم الخطيئة ٣٨

coptic-books.blogspot.com

منطق الرجاء
عندما يتلاشى الأمل، يبدأ الرجاء ٤١
الرجاء رهان على المستحيل ٤٢
حماقة البشارة وحكمة البشر ٤٢
نحو منطق جديد بلا ضمانات ٤٣
الإيمان بالمستحيل ٤٤
لتكشف البشريّة دعوتها مرّة أخرى
سرّ الإنسان ٤٧
تحقيق أملنا سيكون على مستوى رجائنا ٤٨
الإيمان بالمسيح هو إيمان بالإنسان ٤٩
المسيحيّة دعوة إلى التفوّق المستمرّ ٥٤
الرجاء ومسيرة نحو النضوج الشخصيّ
لا محطّة وصول في اكتشاف أبعادنا الداخليّة ٥٦
طباع الإنسان قابلة للتغيير ٥٧
إنطلق لتُولَد مرّة أخرى بإرادتك ٥٨
قف... وابحث عن مفتاح كيانك الباطنيّ ٥٨
واكتشف كنوز قلبك ٥٩
لا تضحك على مثال سارة ٦٠
«أيها الشاب لك أقول: قم» ٦١
ونعود إلى عالمنا بعيون ووعود جديدة
ها أنا أجعل كلّ شيء جديدًا ٦٣
تأمّل ٦٧
فهرس المحتويات ٦٩

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

منطق الرجاء
عندما يتلاشى الأمل، يبدأ الرجاء ٤١
الرجاء رهان على المستحيل ٤٢
حماقة البشارة وحكمة البشر ٤٢
نحو منطق جديد بلا ضمانات ٤٣
الإيمان بالمستحيل ٤٤
لتكشف البشرّية دعوتها مرّة أخرى
سرّ الإنسان ٤٧
تحقيق أملنا سيكون على مستوى رجائنا ٤٨
الإيمان بالمسيح هو إيمان بالإنسان ٤٩
المسيحيّة دعوة إلى التفوّق المستمرّ ٥٤
الرجاء ومسيرة نحو النضوج الشخصيّ
لا محطّة وصول في اكتشاف أبعادنا الداخليّة ٥٦
طباع الإنسان قابلة للتغيير ٥٧
إنطلق لتُولَد مرّة أخرى بإرادتك ٥٨
قف... وابحث عن مفتاح كيانك الباطنيّ ٥٨
واكتشف كنوز قلبك ٥٩
لا تضحك على مثال سارة ٦٠
«أيها الشاب لك أقول: قم» ٦١
ونعود إلى عالمنا بعيون ووعود جديدة
ها أنا أجعل كلّ شيء جديدًا ٦٣
تأمّل ٦٧
فهرس المحتويات ٦٩

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

منشورات :
دار المشرق ش م م
ص.ب: ٩٤٦ - بيروت ، لبنان

التوزيع :
المكتبة الشرقيّة - ساحة النجمة
ص.ب: ١٩٨٦ - بيروت. لبنان

سلسلة «الحياة الروحيّة»

- **العلّيّة، في غمار الروح**: للأب فرانك رامسبرغر اليسوعيّ
- **المدعوّون في الكتاب المقدّس**: للأب بولس إلياس اليسوعيّ
- **الإنسان وفعل الروح**: للمطران أنطون - حميد موراني
- **الروح القدس، مدرسة الإيمان**: للمطران جيرار ويك
- **رياضات القدّيس إغناطيوس - بنيتها وجوهرها وديناميّتها**:
  للأب أولڤر بُرج أوليڤييه اليسوعيّ
- **مدخل إلى روحانيّة إغناطيوس دي لويولا**:
  للأب فاصل سيداروس اليسوعيّ
- **مَن أنتَ أيُّها الكاهن**: للخوري يوحنّا الحلو
- **تكلّم يا ربّ**: للأخت أنطوانيت باسيل
- **إخوتي جميع البشر**: للأب رينه ڤوايّوم
- **صلِّ لتحيا**: للأب رينه ڤوايّوم
- **المشورات الإنجيليّة والنضج الإنسانيّ**: لجان غبرييل رانكي
- **أرقص على إيقاع الحياة**: للأخت فلورندا سلامه
- **إله المستحيل، من الأمل إلى الرجاء**:
  للأب هنري بولاد اليسوعيّ
- **روحانيّة شارل ده فوكو (الأخ شارل يسوع)**:
  للأخ ميلاد من إخوة يسوع الصغار
- **الطريق إلى الفصح**: للأب بيتر هانس كُولْڤِنْباخ اليسوعيّ
- **الأمّ تريزا في نفسنا وضميرنا**: للُوك بَلْبُون
- **السعي إلى الأعماق - مراحل الحياة الروحيّة الثلاث**:
  للأب هنري نُووِين
- **من النور إلى الحبّ - رياضة روحيّة في رحاب إنجيل يوحنّا**:
  للأب جان لاپلاس اليسوعيّ
- **الإنسان وسرّ الزمن**: للأب هنري بولاد اليسوعيّ
- **الإرشاد الروحيّ والحياة بالروح**: للأب أولڤر بُرج أوليڤييه اليسوعيّ
- **هويّة الحياة الرهبانيّة**: للأب فاصل سيداروس اليسوعيّ

coptic-books.blogspot.com